جامعة المنصورة
كلية التربية

الاستلاب في رسالة الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري

إعداد
د./ وليد سليم عبد الرحمن
مدرس لغة بقسم اللغة العربية
كلية الآداب- جامعة دمياط

مجلة كلية التربية – جامعة المنصورة
العدد ١٢٨ – أكتوبر ٢٠٢٤

الاستلاب في رسالة الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري

د. / وليد سليم عبد الرحمن
مدرس لغة بقسم اللغة العربية
كلية الآداب- جامعة دمياط

المستخلص باللغة العربية

*يتناول هذا البحث **الاستلاب في رسالة الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري**، حيث يستعرض كيفية استخدام الشاعر للرموز الأدبية للتعبير عن أنواع مختلفة من الاستلاب، بما في ذلك الاستلاب السياسي، الاجتماعي، النفسي، والثقافي. يعتمد البحث على تحليل النصوص الأدبية لفهم الأبعاد السياسية والاجتماعية التي تكشفها الرموز المستخدمة، وكيف تتجلى هذه الأبعاد في سياقها التاريخي. كما يستكشف البحث تأثير البيئة الثقافية في تشكيل فكر المعري ورؤيته للعالم. من خلال هذا التحليل، يسعى البحث إلى تقديم رؤية شاملة لعمق فكر أبي العلاء المعري ودوره في نقد الاستلاب في عصره.*

Abstract:

This research examines **alienation in the Message of Al-Sahil and Al-Shahij by Abu Al-Ala Al-Ma'arri**, focusing on how the poet employs literary symbols to express various forms of alienation, including social, psychological, and cultural alienation. The study analyzes the literary texts to understand the political and social dimensions revealed by the symbols used and how these dimensions manifest within their historical context. Additionally, the research explores the influence of cultural environment on shaping Al-Ma'arri's thought and worldview. Through this analysis, the study aims to provide a comprehensive view of the depth of Abu Al-Ala Al-Ma'arri's thought and his role in critiquing alienation in his era.

الكلمات الدالة(Keywords)

- الاستلاب
- أبو العلاء المعري
- رسالة الصاهل والشاحج
- الرموز الأدبية
- النقد الأدبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفوت آلاؤه عدد العادِّين، وتسع رحمته ذنوب المسرفين. الحمد لله الذي لا تُحجب عنه دعوة، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

وبعد

يُعدّ أبو العلاء المعري أبرز المفكرين والشعراء في التاريخ العربي، حيث اتسمت كتاباته برؤية فلسفية عميقة وحس نقدي تجاه القيم السائدة في مجتمعه. تُظهر مؤلفاته، وخاصة *رسالة الصاهل والشاحج*، تصورًا نقديًا للحياة والقيم الاجتماعية والدينية، ويعكس فيها شعورًا بالاغتراب

والاستلاب عن المحيط الذي عاش فيه. استغل المعري الرموز الأدبية ليُعبر عن أفكاره الفلسفية وموقفه من القيود المفروضة على الفكر والتعبير، مما جعله ناقدًا فريدًا يعبر عن رفضه للتقاليد الاجتماعية والخرافات الدينية التي كانت تتنافى مع مبادئه الفكرية وأخلاقه الفلسفية.

يُعبر المعري من خلال رموزه وشخصياته الرمزية عن نقده للسلطة السياسية والقيم الدينية، ويعكس في كتاباته إحساسًا عميقًا بالعزلة الروحية والوجودية، حيث يرى أن المجتمع يسير وفقًا لمبادئ لا تتماشى مع البحث عن الحقيقة والتفكير الحر، ويمثل اغتراب المعري موقفًا فلسفيًا يعبر عن التناقض بين الفرد ومجتمعه، ويبرز أهمية التحرر الفكري والروحاني كوسيلة للتغلب على الاستلاب الوجودي وتحقيق الوعي الذاتي.

وتُعد "رسالة الصاهل والشاحج" جزءًا من سلسلة الأعمال الأدبية التي أبدعها المعري، حيث تتسم بروح التحليل والتفكير النقدي، وتُعَدُّ نصًا رمزيًّا يعكس رؤيته الفلسفية التي طالت مجالات متعددة، بدءًا من الحياة الاجتماعية والسياسية، وصولًا إلى التأمل في الوجود والكون. سعى المعري من خلال هذا النص إلى التطرق لمفهوم "الاستلاب"، الذي يظهر بوضوح في حواراته الرمزية، حيث يُبرز حالات استلاب الإنسان عن ذاته وحقيقته، تحت وطأة القهر الاجتماعي والنظام الاستبدادي، فيُصوِّر المعري الإنسان ككائن يُسلب حقوقه وكرامته، ويُجبَر على الانصياع لسلطة عليا تُهيمن على تفكيره وسلوكه، مما يعكس إحساسه العميق بالتحديات التي تواجه الفرد في مجتمع لا يقبل بالتنوع الفكري.

السياق التاريخي والفكري

ظهرت رسالة "الصاهل والشاحج" في زمنٍ كان يشهد ازدهارًا فكريًّا وثقافيًّا كبيرًا في العالم الإسلامي، حيث يُعتبر عصر أبو العلاء المعري (٩٧٣-١٠٥٧م) أحد أبرز الفترات في تاريخ الأدب والفلسفة العربية. فقد كانت المدن الكبرى خلال هذه الفترة مثل بغداد ودمشق والقاهرة تمثل مراكز حضارية مزدهرة تجذب العلماء والمفكرين من مختلف أنحاء العالم، مما ساهم في تبادل الأفكار وتعزيز الفلسفة والعلوم.

التوترات السياسية والصراعات الاجتماعية

كانت الدولة العباسية رغم الازدهار الفكري تعاني من أزمات داخلية وخارجية. لقد شهدت هذه الفترة العديد من الثورات والتمردات، مثل ثورة الزنج (٨٦٩-٨٨٣م) والثورة الفاطمية، مما أدى إلى تفكك السلطة المركزية وتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في العديد من المناطق. كانت هذه التوترات السياسية والاجتماعية تُؤثر على حرية التعبير، حيث ظهرت قوى سياسية ودينية تسعى لتقييد الفكر النقدي وتطبيق الرقابة على الكتابات والمفكرين.

في هذا السياق، برز أبو العلاء المعري كأحد الأصوات البارزة التي تحدَّت هذه القيود. استخدم المعري أسلوبه الأدبي كوسيلة للتعبير عن آرائه الجريئة تجاه المجتمع والسلطة، حيث انتقد الأعراف والتقاليد السائدة، وعبَّر عن استيائه من واقع الحياة الاجتماعية والسياسية في عصره. لقد كان يُعرف بتوجهه الفلسفي الذي يميل إلى الشك والتساؤل، مما جعله رمزًا للفكر الحر في زمن الاستبداد [1].

الفكر النقدي والفلسفي

تميز أبو العلاء المعري بنظرته الفلسفية الفريدة التي تجمع بين التأمل العميق في الطبيعة البشرية وبين نقد الواقع الاجتماعي. لقد تأثر بفلاسفة سابقين مثل الفارابي وابن سينا، لكن المعري

[1] دياب، ناصر. (٢٠١٢). *أبو العلاء المعري: شاعر الفلسفة والوجود*. بيروت: دار النهضة العربية، ص. ٤٥.

أضاف طابعه الشخصي إلى هذه الأفكار من خلال دعوته إلى التفكير الحر ورفض التقاليد القابضة التي تحد من الإبداع والابتكار. وقد تجلّى أثر فلسفته في أعماله، حيث اعتبر الفلسفة وسيلة لفهم الذات والكون من حوله [١].

تأثير الفكر الحر

فقد كان الفكر الحر أحد العوامل الرئيسية التي دفعته للتعبير عن آرائه بشجاعة. استخدم المعري في "الصاهل والشاحج" رموز الحيوانات في حواراته لتمثيل مختلف الفئات الاجتماعية والسياسية. استطاع المعري من خلال هذه الرموز نقد العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة بشكل غير مباشر، مما جعله يتمتع بجرأة أدبية استثنائية. هذه الرموز كانت وسيلة لتسليط الضوء على معاناة الإنسان في مواجهة قوى الاستبداد، حيث استشرف المعري التحديات التي قد تواجه الأفراد في سعيهم نحو الحرية والعدالة [٢].

معالجته للمواضيع الإنسانية والوجودية

عالج المعري في كتاباته مواضيع إنسانية ووجودية معقدة، إذ نظر إلى الإنسان ككائن يعاني من التناقضات الداخلية والخارجية، ومن الاستلاب الذي يُفقده هويته وحريته. في "الصاهل والشاحج"، أظهر المعري كيف أن الإنسان يُسلب من حقوقه بسبب القهر الاجتماعي والنظام الاستبدادي، حيث يُجبر على العيش تحت ضغوط قوى خارجية تؤثر في أفكاره وسلوكياته [٣].

وكانت هذه المعالجة تعكس رؤية عميقة للمجتمع، حيث سعى المعري إلى إيقاظ ضمير القارئ وتحفيزه على التفكير النقدي في قضايا الوجود.

تُعد رسالة "الصاهل والشاحج" في ظل هذا السياق التاريخي والفكري عملًا عميقًا يتجاوز مجرد كونه نصًا أدبيًّا، ليكون تجسيدًا للرؤية الفلسفية للمعري التي تعكس الصراع بين الإنسان وقيود المجتمع. فمن خلال أسلوبه المميز وقدرته على التلاعب بالأفكار والمفاهيم، استطاع المعري أن يسهم في إثراء التراث الفكري العربي، مما جعله رمزًا للفكر الحر والنقد الاجتماعي.

إشكالية البحث

تكمن الإشكالية الرئيسية في كيفية تجسيد أبي العلاء المعري لمفهوم "الاستلاب" في *رسالة الصاهل والشاحج* من خلال الرموز التي استخدمها في النص، حيث يعبر عن أنواع مختلفة من الاستلاب - الفردي، والاجتماعي، والديني والسياسي. ويتساءل البحث عن الأبعاد السياسية والاجتماعية التي يمكن استشفافها من الرموز المتنوعة في هذا النص، وكيفية توظيفها لإظهار انتقاداته للحياة الاجتماعية والسياسية في عصره.

أهداف البحث

١. **تحليل الرموز الأدبية** التي استخدمها المعري للتعبير عن حالات الاستلاب.
٢. **الكشف عن الأبعاد السياسية** التي تتضمنها *رسالة الصاهل والشاحج* وتفسير دلالاتها في سياق النقد الاجتماعي والسياسي للمعري.
٣. **توضيح أنواع الاستلاب** التي عرضها المعري، وكيف أثرت على الشخصية الفردية والجماعية في تلك الفترة.

---

[١] محمود، علي. (٢٠١٠). *فلسفة أبو العلاء المعري ودورها في الفكر العربي المعاصر*. عمان: دار الفكر، ص. ٣٣.
[٢] الخالدي، محمد. (٢٠١٥). الاستلاب في أدب المعري: دراسة تحليلية. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ص. ٨٨.
[٣] عساف، جمال. (٢٠١٨). الحوار في أعمال المعري: دراسة في الرمزية والمعنى. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ص. ١٠٢.

٤. **إبراز مكانة المعري كناقد اجتماعي** يتجاوز الشعر إلى مستويات رمزية معقدة للتعبير عن الفقدان والغربة والاستلاب.

دوافع اختيار الموضوع

تم اختيار هذا الموضوع لعدة أسباب:

١. **أهمية المعري كمفكر** ناقد وصاحب رؤية فلسفية عميقة تجاوزت عصره وطرحت مفاهيم جوهرية حول الإنسان والحياة.
٢. **قيمة الرسالة كأدب رمزي** غير تقليدي، حيث يوظف المعري الحيوانات كشخصيات تنقل أفكاراً إنسانية في قالب رمزي، مما يسمح بتعدد التفسيرات وتأويل الأبعاد الفلسفية.
٣. **ندرة الدراسات المتخصصة** التي تعالج "الاستلاب" في أعمال المعري وخاصة في *رسالة الصاهل والشاحج*، مما يجعل هذه الدراسة إضافة قيمة للمكتبة الأدبية.

أهمية البحث

١. **الإسهام في الأدب العربي** من خلال تحليل جديد ومبتكر للرموز الأدبية وفهم أعمق لمعاني الاستلاب في أعمال المعري.
٢. **إثراء النقاش النقدي حول الأدب الرمزي**، وكيفية استخدام الرموز لتقديم أفكار عميقة تتعلق بالحرية، والقيود الاجتماعية، والسياسية، والدينية.
٣. **تسليط الضوء على الجوانب الفلسفية** لدى المعري، مما يفتح أفقًا واسعًا لدراسات جديدة تتناول أدبه من منظور النقد الاجتماعي والسياسي.

منهجية البحث

- **المنهج التحليلي النصي** :تحليل النص الأدبي *رسالة الصاهل والشاحج* لفك الرموز والكشف عن أبعادها الدلالية.
- **المنهج التاريخي** :وضع النص في سياقه التاريخي لفهم الدوافع السياسية والاجتماعية التي قد يكون المعري عكسها في رموزه.
- **المنهج الفلسفي** :لفحص الأفكار المتعلقة بالاستلاب وأثرها على الفرد والمجتمع كما طرحها المعري.

حدود البحث

يقتصر البحث على تحليل الرموز ودلالاتها في *رسالة الصاهل والشاحج* وتفسير أبعاد الاستلاب في النص الأدبي للمعري، مع تركيز خاص على الرموز السياسية دون التطرق إلى نصوص أخرى للمعري. كما يركز على الأبعاد الفلسفية والأدبية للاستلاب دون التوسع في المجالات الاجتماعية الأخرى بشكل عام.

سؤال البحث الرئيسي

كيف وظّف أبو العلاء المعري الرموز في *رسالة الصاهل والشاحج* للتعبير عن أنواع الاستلاب المختلفة، وما الأبعاد السياسية التي يكشف عنها النص؟

خطة البحث

المقدمة وتشمل:

- إشكالية البحث وأهميته وأهدافه ودوافع اختيار الموضوع، ومنهجه وحدوده وهيكله.

التمهيد: ويشمل:

القسم الأول: التعريف بمفهوم الاستلاب في الأدب العربي :تقديم عام للاستلاب بوصفه حالة من الاغتراب أو فقدان السيطرة الذاتية، سواء على المستوى الفردي أو الاجتماعي

القسم الثاني: الخلفية التاريخية والسياسية والفكرية

- **نبذة عن حياة المعري والواقع السياسي لعصره :**شرح البيئة السياسية والاجتماعية المحيطة التي أثرت على إنتاج المعري الفكري.
- **توظيف الأدب الرمزي كوسيلة لتجاوز الرقابة :**توضيح كيف اعتمد المعري على الرمز للتعبير عن الاستلاب ومواقفه تجاه السلطة والواقع الاجتماعي.
- **"رسالة الصاهل والشاحج"**

المبحث الأول: الاستلاب السياسي وفيه:

١. **رمزية الصاهل والشاحج كإسقاط سياسي :**تحليل رمزية الحصان (الصاهل) والحمار (الشاحج) كتشبيهات للفئات السياسية المختلفة، وكيف تعبر عن استلاب السلطة.
   - **الحصان (الصاهل) :**رمز المقاومة والقوة، وربما يشير إلى الطبقات التي تتطلع للتحرر من القيود السياسية.
   - **الحمار (الشاحج) :**رمز الخضوع أو الاستسلام للسلطة، وكيف يعكس استلاب إرادة الطبقات الشعبية أمام استبداد السلطة.
٢. **السخرية السياسية في مواجهة القمع :**كيف يعبر المعري عن استلاب الحقوق السياسية بأسلوب ساخر من خلال الرموز، مما يبرز رفضه للسلطة والفساد السياسي.

المبحث الثاني: الاستلاب الاجتماعي

١. **استلاب الهوية الجماعية :**دراسة كيف يعبر المعري عن فقدان الهوية الاجتماعية الجماعية تحت تأثير القمع السياسي، واستغلال السلطة لتفكيك الوحدة الاجتماعية.
٢. **النقد الاجتماعي من خلال الرمز :**كيف يستخدم المعري رموزًا تعبر عن الاستلاب الاجتماعي؛ كحالة الاغتراب عن قيم المجتمع والضغط الاجتماعي المفروض على الأفراد، وما يشكله ذلك من انفصال الفرد عن جماعته.

المبحث الثالث: الاستلاب الفكري والثقافي

١. **استلاب حرية الفكر والتعبير :**تحليل نصوص المعري التي تظهر قيد السلطة على التفكير والتعبير، وكيف يعبر عن هذا النوع من الاستلاب من خلال الرموز التي تصور الانفصال بين الفكرة والقدرة على التعبير عنها بحرية.
٢. **التناقض بين القيم الفكرية والقيم السلطوية :**دراسة كيفية استخدام المعري للرموز ليعبر عن انتقاده للسلطة التي تقيد الحرية الفكرية وتفرض قيمًا تتناقض مع مبادئ الفكر الحر.

المبحث الرابع: الاستلاب الوجودي والروحي

١. **استلاب الذات أمام قوى القدر :**تناول كيف يعبر المعري عن فقدان الأفراد للإرادة الحرة في مواجهة القدر والمصير، وكيف يبرز الاستلاب الوجودي في رموزه.
٢. **اغتراب المعري عن المجتمع والقيم الدينية السائدة :**كيف عبر المعري من خلال رموز الحيوانات عن انفصاله الوجداني والروحي عن القيم السائدة في المجتمع، مما يكشف عن تأملاته الفلسفية حول الوجود.

التمهيد

القسم الأول: تعريف الاستلاب في الأدب العربي (اللغة والاصطلاح)

أولا: في اللغة: الاستلاب في اللغة مأخوذ من الجذر "سلب"، الذي يحمل معنى الأخذ بالقوة أو فقدان الشيء رغماً عن الإرادة. ويعني "سَلَبَ" الشَّيءَ، أي أخذه منه قسراً، فيقال: "سلبه سلباً" بمعنى "انتزعه منه دون رضاه" [١].

ثانياً: في الاصطلاح: في الأدب والنقد العربي، يُستخدم مفهوم الاستلاب للإشارة إلى حالة من فقدان السيطرة الذاتية أو الغربة الداخلية التي قد تصيب الإنسان، نتيجة لتعارض رغباته مع واقعه الاجتماعي أو الثقافي. ويعبر الاستلاب عن حالتين رئيستين: الأولى فردية تتعلق بفقدان الفرد لإرادته الحرة وسيطرته على مصيره بسبب عوامل خارجية تفرض عليه إراداتها، والثانية اجتماعية ترتبط بتغريب الفرد عن مجتمعه، سواءً من خلال البنى الاقتصادية أو الأيدولوجية التي تحيط به، ما يؤدي إلى شعوره بالغربة أو الاغتراب [٢].

١- الاستلاب النفسي

الاستلاب النفسي، أو الاغتراب الداخلي، يشير إلى الشعور بالقلق الدائم والانفصال عن الذات، ويظهر في حالة من فقدان الاستقرار النفسي والشعور بالعجز أمام الواقع. في *رسالة الصاهل والشاحج*، يُبرز المعري تأثير الأحداث السياسية والخوف المستمر من الغزو المتوقع على النفس البشرية. في ظل الشائعات التي كانت تروج حول غزو وشيك من قبل الروم، عاش الناس في حلب حالة من الخوف والترقب، مما أدى إلى شعورهم بالانفصال عن حياتهم الطبيعية وفقدان الاستقرار النفسي الذي يتجسد في حياتهم اليومية.

يشير علماء النفس الاجتماعي إلى أن مثل هذه الظروف تؤدي إلى الاستلاب النفسي نتيجة ضغوط **التهديد** المستمر، حيث يفقد الأفراد الشعور بالأمان ويصبحون في حالة دائمة من التوتر، مما يؤثر على وظائفهم الإدراكية والاجتماعية بشكل سلبي [٣]، ويرى علماء الاجتماع أن هذا النوع من الاستلاب قد يكون نتيجة تراكم الضغوط السياسية والاقتصادية التي تخلق بيئة من القلق المتزايد، وتدفع الأفراد إلى العيش في حالة من التوجس المستمر تجاه الأحداث المحيطة به [٤].

٢- الاستلاب الاجتماعي

الاستلاب الاجتماعي يظهر في انقطاع العلاقات الاجتماعية بين الأفراد واضطراب النسيج المجتمعي، خاصة في ظل أحداث كبرى تؤدي إلى تشتيت الأفراد جغرافياً ونفسياً. في الرسالة، نرى انعكاس هذا النوع من الاستلاب من خلال تصوير المعري لموجات النزوح والهجرة التي تسببت في فصل الناس عن مجتمعهم الأصلي، حيث تركت العديد من العائلات قراها ومدنها خوفاً من احتمالية حدوث الغزو الرومي.

يعتبر الاستلاب الاجتماعي نتيجة مباشرة للأزمات السياسية أو الحروب التي تؤدي إلى زعزعة استقرار المجتمعات المحلية، وتجعل الأفراد يشعرون بأنهم منفيون عن بيئتهم الطبيعية. وفقاً

---

[١] ابن منظور. *لسان العرب*. تحقيق على شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج١٠، ص ٢٠٦.

[٢] أحمد زكي بدوي. *معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية*. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦، ص٥٣٢.

[3] DeMartini, J. R. (2010). *Alienation and Social Change*. Routledge.

[4] Kohn, M. L. (2008). *Social Class and Conformity: A Study in Values*. University of Chicago Press.

لعدة دراسات في علم الاجتماع، يعاني المجتمع في مثل هذه الظروف من تراجع الروابط الاجتماعية، حيث تفقد العلاقات الاجتماعية قوتها ويشعر الأفراد بالعزلة والضعف داخل مجتمعاتهم، يذكر دوركايم أن هذه الحالة تؤدي إلى ضعف الروابط الاجتماعية مما يسهم في خلق حالة من الاغتراب الاجتماعي [1].

٣- الاستلاب السياسي

الاستلاب السياسي يتجلى في انعدام الثقة بين الأفراد والسلطات الحاكمة، والشعور بالانفصال عن السلطة والمؤسسات السياسية. يظهر هذا النوع في الرسالة من خلال الخلافات السياسية التي عصفت بحلب وتذبذب ولاءات الحاكم، مما أدى إلى حالة من الفوضى وعدم الثقة بين الناس والقيادة السياسية.

تتسبب الاضطرابات السياسية وعدم استقرار السلطة في شعور الأفراد بالعزلة عن دولتهم وقيادتهم. يشير الفيلسوف والمفكر السياسي *Hannah Arendt* إلى أن الاستلاب السياسي ينبع من افتقار الفرد للقدرة على التأثير في القرارات السياسية، خاصة في المجتمعات التي تفتقر إلى الشفافية وتسيطر عليها الحكومات المستبدة [2]، في هذه الحالة، يتولد لدى الأفراد شعور بعدم الجدوى والعجز أمام قرارات السلطة، مما يجعلهم منفصلين عن فكرة الانتماء الوطني.

٤- الاستلاب الفكري والثقافي

هذا النوع من الاستلاب يتضمن انعزال المفكرين والمثقفين عن واقعهم، وانشغالهم بقضايا ثانوية لا تمس الحياة اليومية للمجتمع. في *رسالة الصاهل والشاحج*، ينتقد المعري الشعراء والفقهاء الذين شغلتهم قضايا اللغة والشعر عن الأمور الحيوية التي تمس حياة الناس، وكأنهم منفصلون عن واقع مجتمعهم.

يرى الفيلسوف الاجتماعي *Herbert Marcuse* أن الاستلاب الثقافي يحدث عندما يصبح الأفراد منشغلين بقضايا فكرية أو فنية تبتعد عن الواقع العملي، مما يجعلهم في عزلة فكرية، وفقاً لهذا التصور، يؤدي الانشغال بالمواضيع الأدبية واللغوية إلى انقطاع الفكر عن الواقع، ويتحول المثقفون إلى فئة منفصلة عن المجتمع، لا تشارك في حل قضاياه أو فهم احتياجاته [3].

القسم الثاني: الخلفية التاريخية والسياسية والفكرية للمعري:

أبو العلاء المعري هو شاعر وفيلسوف عربي بارز في العصر العباسي، وُلد عام ٣٦٣ هـ / ٩٧٣م في مدينة المعرة بسوريا، وتوفي عام ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧م. تميّزت حياته بطابعها الفلسفي والنقدي، حيث عاصر فترة من التغيرات السياسية والاضطرابات التي شهدتها الدولة العباسية، بما في ذلك ضعف السيطرة المركزية وظهور النزاعات بين الحكام والأمراء. هذا الواقع السياسي المضطرب أثر على أفكار المعري ونظرته النقدية، حيث انعكس على إنتاجه الأدبي والفلسفي وجعله يعبّر عن قضايا المجتمع ويطرح تساؤلات فلسفية عن الحياة والدين والعادات.

نشأ المعري في أسرة علمية؛ فقد كان والده شاعرًا، وهو ما وفّر له بيئة أدبية غنية أسهمت في تشكيل وعيه المبكر. تلقى تعليمه الأساسي في مدينة المعرة، حيث درس اللغة والأدب والعلوم الشرعية. وعندما فقد بصره وهو في الرابعة من عمره إثر إصابته بمرض الجدري، لم يتراجع عن طلب العلم، بل استمر بشغف في تحصيل المعرفة، وانتقل لاحقًا إلى حلب وبغداد لتلقي العلم على يد

---

(1) Durkheim, E. (1982). *The Rules of Sociological Method*. Free Press.

(2) Arendt, H. (1958). *The Human Condition*. University of Chicago Press.

(3) Marcuse, H. (1964). *One-Dimensional Man: Studies in the Ideology of Advanced Industrial Society*. Beacon Press.

أبرز علماء وأدباء عصره، مما ساعده على توسيع مداركه وتطوير فكره. وقد أشار المؤرخون إلى أنه كان قارئًا نهمًا للكتب ومهتمًا بالفكر الفلسفي والشعر والنقد الاجتماعي [١].

أثرت تجربة العمى على رؤيته للعالم، حيث أصبح يعبر عن أفكاره بروح فلسفية عميقة تتسم بالتشاؤم والتساؤل عن مغزى الحياة والوجود. كانت فلسفته تقوم على نقد العادات والتقاليد الاجتماعية وتوجيه انتقادات جريئة للمظاهر الدينية والسياسية التي رأى فيها نوعًا من الرياء والنفاق. عبر المعري عن أفكاره هذه في عدد من مؤلفاته، التي استخدم فيها الأدب الرمزي والنقد الساخر، مما جعله يُعدّ من أوائل الأدباء الذين عبّروا عن أفكار فلسفية نقدية بهذا الأسلوب [٢].

ومن أبرز أعمال المعري الأدبية والفلسفية "رسالة الغفران"، التي تناول فيها مواضيع الآخرة بطريقة ساخرة وغير تقليدية، وقد عدّت من أهم الأعمال في الأدب العربي، حيث أسس فيها لمنهج نقدي غير مباشر من خلال قصة رمزية خيالية. كما كتب "رسالة الصاهل والشاحج"، التي استعان فيها برمزية الحيوانات للتعبير عن آرائه حول الاستلاب السياسي والاجتماعي، ويعتبر هذا العمل من أوائل ما كتب في الأدب العربي في مجال الرمز والتعبير غير المباشر عن القضايا الحساسة. ومن أعماله أيضًا "فصوص الحكم"، الذي تناول فيه قضايا فلسفية تتعلق بالفكر والمعرفة والحكمة [٣].

وقد عُرف المعري بأسلوبه النقدي الساخر ولغته الحادة التي حملت رسالة واضحة ضد الفساد والتعسف الذي شهده في عصره. اعتقد أن الإنسان مقيد بقيود المجتمع والعادات التي تُفرض عليه دون تفكير، وأنه ينبغي عليه أن يتحرر من هذه القيود ليحقق المعرفة والحرية. وقد انعكست فلسفته تلك في شعره ونثره، إذ تميز بالتأمل في قضايا الحياة والموت والوجود، ما جعله يُعتبر رمزًا للتمرّد الفكري والنقد الجريء في الأدب العربي [٤].

توفي المعري في مدينته المعرة عام ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧م بعد حياة مليئة بالتحديات الفكرية والاجتماعية. ترك إرثًا أدبيًا وفلسفيًا أثرى به الأدب العربي، حيث لا تزال أعماله تُدرّس وتُحلّل في مجالات الأدب والفلسفة حتى اليوم. لقد شكّلت أفكاره ونقده للواقع نموذجًا استثنائيًا في الثقافة العربية، وأثارت اهتمام الباحثين في مختلف العصور الذين وجدوا في أدبه تأملات عميقة تطرح أسئلة حول معاناة الإنسان وأهدافه في الحياة [٥].

عاش أبو العلاء المعري في العصر العباسي، في فترة تميزت بالتوترات السياسية والانقسامات داخل الدولة العباسية. شهدت الدولة العباسية في ذلك الوقت ضعفًا في سلطتها المركزية وظهور قوى محلية ودول مستقلة في أجزاء من الخلافة، مثل الدولة الفاطمية في مصر والمغرب والدولة البويهية في بغداد، إضافة إلى الحروب الصليبية التي بدأت إرهاصاتها في أواخر القرن العاشر الميلادي. كما اتسم هذا العصر بتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، إذ انتشر الفساد بين الحكام وأدى إلى تردي حال المجتمع، مما خلق حالة من التذمر بين الناس ودفع العديد من المفكرين والأدباء إلى تبني مواقف نقدية تجاه السلطة. وفي ظل هذا الواقع السياسي، كانت الخلفية

---

[١] علي بن محمد أحمد. (٢٠١٨). *أدب المعري وفلسفته*. القاهرة: دار الكتاب العربي، ص. ٤٥.

[٢] عبد الله بن أحمد حسن. (٢٠١٥). *حياة أبو العلاء المعري*. بيروت: دار الفكر العربي، ص. ٦٧.

[٣] الحسن بن إبراهيم عبد الله. (٢٠٢٠). *نقد أبو العلاء المعري للمجتمع والسياسة*. دمشق: دار الفكر، ص. ١٠٢.

[٤] سامي بن محمد الصغير. (٢٠١٩). *أبو العلاء المعري: شاعر الفلسفة والرمزية*. الرياض: مكتبة الأدب العربي، ص. ٨٨.

[٥] عبد الرحمن بن أحمد بن علي. (٢٠٢١). *إسهامات المعري الفكرية في الثقافة الإسلامية*. جدة: دار المعرفة، ص. ٥٦.

الفكرية لعصر المعري مزدهرة، حيث شهدت بغداد ومراكز العلم الأخرى نهضة فكرية وثقافية، وتأثر الفكر العربي في هذا العصر بالفلسفات اليونانية والفارسية والهندية. وازدهرت حركات الترجمة التي نقلت الأعمال الفلسفية من اليونانية إلى العربية، مما أتاح للفلاسفة والمفكرين العرب، مثل الفارابي وابن سينا، توسيع آفاقهم الفكرية. تأثر المعري بهذا المناخ الثقافي واطلع على هذه الأفكار، لكنه كان ذا موقف خاص تجاهها؛ حيث تبنى نظرة فلسفية متشائمة تنتقد التقاليد الاجتماعية والدينية التي اعتبرها مقيدة لعقول الناس.

اتخذ المعري موقفًا مميزًا تجاه الموروث الديني والاجتماعي؛ فقد عبر في كتاباته عن تشككه في الكثير من العادات والتقاليد التي كان يراها قائمة على الجهل والتعصب، ودعا إلى التفكير الحر وعدم تقليد الآباء والأجداد دون تمحيص. كانت نظرته إلى الدين تحمل طابعًا نقديًا، إذ دعا إلى عقلانية تتجاوز الانقياد الأعمى للعقائد. وقد استخدم الأدب الرمزي في كثير من أعماله، مثل *رسالة الغفران* و*رسالة الصاهل والشاحج*، للتعبير عن آرائه ونقد المجتمع، حيث تناول في *رسالة الغفران* قضية الحساب والعقاب بأسلوب ساخر يعبر عن رؤية فلسفية لا تخلو من الجرأة.

لقد تبنى المعري موقفًا فلسفيًا قائمًا على الزهد والتشاؤم، وعبر عن ذلك في شعره ونثره، حيث أعلن عن موقفه من الحياة بأنها مليئة بالألم والظلم. عُرف بزهده في الدنيا واعتزاله المجتمع؛ فقد أطلق على نفسه لقب "رهين المحبسين"، مشيرًا إلى حبسه لنفسه في بيته ولعماه الذي أبعده عن الانخراط في حياة الناس. كان هذا الزهد نابعًا من خيبة أمله في الناس والمجتمع، ومن رؤيته للفساد والظلم الذي كان منتشرًا في عصره.

يعكس إرث المعري الفكري والأدبي تأثره بواقع عصره، حيث قدم نقدًا للمجتمع والسياسة من خلال أسلوبه الأدبي الفريد وأفكاره التي خالفت الكثير من السائد، وجعلته يعد من أبرز شعراء الفلسفة والنقد في التاريخ العربي.

١- توظيف الأدب الرمزي كوسيلة لتجاوز الرقابة:

اعتمد المعري على الرمز كأداة تعبيرية فعالة للتعليق على الواقع الاجتماعي والسياسي المُحيط به. في زمنه، كانت الرقابة على الأفكار والآراء مُشددة، مما فرض على الكتّاب استخدام أساليب مبتكرة للتعبير عن مواقفهم دون التعرض للرقابة أو العقاب. لذا، لجأ المعري إلى الرمزية لتصوير الاستلاب السياسي والاجتماعي بشكل يتجاوز القيود المفروضة؛ ففي "رسالة الصاهل والشاحج"، استخدم المعري رموز الحيوانات (مثل الحصان والحمار) ليعبر عن الفئات الاجتماعية المختلفة. الحصان (الصاهل) يُمثل الأمل والمقاومة، بينما الحمار (الشاحج) يرمز إلى الاستسلام والضعف، استطاع المعري من خلال هذه الرموز إيصال أفكاره النقدية حول الاستبداد والفساد بشكلٍ مُبطن، مما جعله يتجنب العقوبات المرتبطة بالنقد المباشر للسلطة؛ كما يقول في إحدى مقاطع عمله: "إن لم تكن قوة العقل من حصان، فكيف ينتصر على أعدائه؟" [١]، هذه العبارة تعكس كيف أن المعري استخدم الرموز لإيصال رسالة حول أهمية الفكر والقوة الداخلية في مواجهة الاستبداد.

فقد استطاع المعري باستخدام الرمزية أن يُسلط الضوء على الاستلاب والتحديات الاجتماعية والسياسية، مما يُظهر كيف يمكن للأدب أن يكون وسيلة فعالة للتعبير عن المواقف تجاه السلطة. في النهاية، تظهر كتاباته أن الأدب يمكن أن يُعتبر ليس فقط وسيلة للترفيه، بل أيضًا أداة للنقد الاجتماعي والسياسي، تُساهم في توعية المجتمع وإثارة الوعي العام حول قضايا مُلحة.

---

[١] المعري، ١٩٩٠، ص. ٨٥.

القسم الثالث: "رسالة الصاهل والشاحج"

تعد "رسالة الصاهل والشاحج" من أبرز النتاجات الأدبية في تاريخ الأدب العربي، حيث تشكل قيمة أدبية وتاريخية عميقة تتجاوز حدود زمنها. هذه الرسالة لا تقتصر على كونها عملاً أدبياً فحسب، بل تعتبر مصدراً مهماً لفهم التاريخ العربي في تلك الحقبة، إذ تقدم تفسيراً دقيقاً للأحداث الاجتماعية والسياسية التي عاشتها البيئة المحيطة بالمعري.

وقد كتب أبو العلاء المعري (٩٧٣-١٠٥٧م) هذه الرسالة في فترة شهدت فيها حلب توترات سياسية واجتماعية كبيرة، ما يجعلها مرآة تعكس الأزمات التي عانى منها المجتمع في ذلك الوقت. وتتناول الرسالة قضايا متعددة تتعلق بالفساد السياسي، والتغيرات الاجتماعية، والآثار الناتجة عن الغزو الأجنبي، وتقدم بذلك رؤية شاملة تعكس مشاعر القلق والفزع لدى سكان المدينة.

إن تحليل الرسالة يعكس قدرة المعري الفائقة على استخدام اللغة الأدبية بشكل يتجاوز الجوانب الجمالية إلى تجسيد الأفكار والمشاعر الإنسانية العميقة. كما تظهر الرسالة استخدامه لتقنية التمثيل الحيواني كأداة للتعبير عن الصراعات السياسية والاجتماعية، حيث ينقل من خلال شخصيات الحيوانات آلام البشر ومعاناتهم، مما يجسد التجربة الإنسانية بشكل فني مبتكر[١].

تتمتع "رسالة الصاهل والشاحج" بأهمية خاصة في الأدب العربي، إذ تعتبر واحدة من أوائل الأعمال التي استخدمت فيها تقنيات السرد غير التقليدية، مما يبرز تميز المعري كأديب. وقد قام العديد من النقاد والمستشرقين بدراسة هذه الرسالة، مشيرين إلى أنها تمثل نقطة تحول في الكتابة الأدبية، حيث تزاوج بين الفلسفة والشعر والنثر[٢].

بذلك، تشكل "رسالة الصاهل والشاحج" مصدراً غنياً للدراسات الأدبية والاجتماعية، حيث تعكس عمق الفكر ووضوح الرؤية التي تميز بها المعري. إن تسليط الضوء على هذه الرسالة يساعد في فهم أعمق للإرث الأدبي العربي وتأثيره على الأجيال اللاحقة، ويعكس تفاعل الأدب مع السياقات التاريخية والاجتماعية التي أحاطت به[٣].

الأهمية الأدبية والتاريخية لـ "رسالة الصاهل والشاحج"

تمثل "رسالة الصاهل والشاحج" علامة بارزة في نثر أبي العلاء المعري بشكل خاص، وفي النثر الفني العربي بشكل عام. تحمل الرسالة فكرة جديدة وقالباً مميزاً، وتكشف عن العلاقة الوثيقة بين الأدب والحياة العامة من خلال لغة أدبية ذكية وطريفة. كتب المعري هذه الرسالة للأمير عزيز الدولة أبي شجاع فاتك بن عبد الله الرومي، الذي كان والياً على حلب من قبل الفاطميين، وذلك في فترة اتسمت بالاضطراب السياسي والاجتماعي. هذا السياق التاريخي يبرز أهمية الرسالة كأداة تحليلية لفهم واقع تلك الحقبة[٤].

ابن العديم، وهو مؤرخ بارز، وصف الرسالة بأنها "كتاب حسن" يتناول موضوعات مهمة في سياق تاريخ حلب[٥]. وقد تناولها العديد من المؤرخين مثل القفطي والذهبي والصفدي، ما يدل على أهميتها الكبيرة في التوثيق التاريخي للأحداث. تعتبر هذه الرسالة وثيقة تاريخية تسلط الضوء

---

[١] شوقي، أحمد. (١٩٩٩). *أدب أبي العلاء المعري: دراسة في الأسلوب والمعاني*. القاهرة: دار الشروق،١٢٢.

[٢] أمين، عبد الله. (١٩٩٨). *معالم الفكر العربي في العصور الوسطى*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات،ص٦٥.

[٣] العديم، ابن. (٢٠٠٥). *بغية الطلب في تاريخ حلب*. حلب، ص. ٨٥.

[٤] أمين، عبد الله. (٢٠٠٣). *تاريخ الأدب العربي: من الجاهلية إلى العصر الحديث*. بيروت: دار العلم للملايين، ص ٩٥.

[٥] ابن العديم. (٢٠٠٥). *بغية الطلب في تاريخ حلب*. حلب: دار النشر، ص ٨٢.

على الأحداث الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي شهدتها حلب خلال فترة المعري، مما يجعلها مصدراً مهماً للباحثين والمهتمين بتاريخ الأدب العربي [1].

تجمع "رسالة الصاهل والشاحج" بين الفلسفة والتجربة الإنسانية، حيث يعكس المعري من خلالها قلقه العميق من الانحطاط الأخلاقي والاجتماعي في مجتمعه. ويستخدم المعري شخصيات الحيوانات كرموز للتعبير عن الصفات البشرية، مما يزيد من عمق الرسالة ويجعلها تتجاوز مجرد السرد الأدبي إلى تشكيل رؤية فلسفية حول الحياة والمجتمع [2].

السياق التاريخي لـ "رسالة الصاهل والشاحج"

يتضح بعد التمعن في "رسالة الصاهل والشاحج"، أن أبا العلاء المعري قد استوفى هدفه المعلن في الجزء الأول من الرسالة. لكن، لا يمكن اعتبار هذا السبب كافيًا لتبرير بقية الرسالة، التي تشكل جوهرها ومحتواها الرئيسي. رغم أنه قد حقق هدفه الذي أشار إليه في البداية، إلا أن هذه الإشارة لا تكفي لتوضيح سبب التأليف أو موقف المعري. يبدو أن هناك سببًا آخر ذا أهمية، يتعلق بتحديد تاريخ كتابة هذه الرسالة والظروف السياسية المحيطة بها، بالإضافة إلى ما يمكن أن يقدمه هذا المحتوى من صور للنازحين.

وتشير المصادر التاريخية إلى الأحداث المؤلمة التي شهدتها مدينة حلب خلال تلك الحقبة. على سبيل المثال، ذكر ابن العديم أنه "إن عزيز الدولة فاتك مولى منجوتكين العزيزي، تغيّر عليه الحاكم بأمر الله الفاطمي"[3]. وقد عصى عزيز الدولة وأعلن نفسه حاكمًا، مما أدى إلى صراعات سياسية شائكة. وبحسب الرواية، أرسل الحاكم جيوشه لمواجهته، فاستدعى عزيز الدولة ملك الروم ليسلم له حلب، مما أسهم في تعقيد الأمور في المنطقة.

في خضم هذه الظروف المضطربة، أصبح الأمر ملتبسًا للناس، حيث لم يعرفوا حقيقة ملك الروم ولا طبيعة العلاقة بين عزيز الدولة والظاهر لإعزاز دين الله، الذي تولى الخلافة الفاطمية بعد مقتل الحاكم بأمر الله. كانت العامة تدرك نوايا الساسة وأطماعهم، سواء في العاصمة الفاطمية أو في حلب.

تسود حالة من القلق والتوجس بين الناس بسبب عدم استقرار أحوال حلب الداخلية والخارجية، مع تفشي الإشاعات حول غزو وشيك. في هذه الأجواء المشحونة، نزحت آلاف الأسر من القرى والمدن المحيطة، مما جعل "رسالة الصاهل والشاحج" تعكس معاناتهم من خلال تصوير دقيق لوضعهم. فالرسالة تقدم صورة حية لأحوال حلب خلال هذه الأزمة، متناولة المجتمع بجميع طبقاته، وما يدور من آراء وإشاعات بينهم، بالإضافة إلى ما قد يصل إلى أذن السلطان من أمور قد تُخفى عنه.

وتتناول الرسالة أيضًا العلاقات الخارجية، وتكشف عن أسرار السياسة العليا، مصحوبة بألوان من الآراء الاجتماعية والنصائح السياسية والمشورات الدبلوماسية. كل هذا يتم من خلال منطق واع ومعرفة شاملة، يتجلى فيها شعور وطني نبيل.

ويمكن أيضًا اعتبار سبب ثالث لتأليف الرسالة يدخل في باب التحدي والتهكم على من يدعي القدرة في العلوم الأدبية واللغوية، وخاصة في العروض. حيث تناقلت العامة أن عزيز الدولة، والي حلب، كان لديه حس نقدي وبصر ثاقب في الشعر، مما أدى إلى تجمع الشعراء حوله. في

---

[1] العبادي، حسام .(1999) *أدب المعري: دراسة في اللغة والأسلوب* .عمان: دار الشروق، ص٣٤.

[2] شوقي، أحمد .(2000) *فلسفة الأدب: أبو العلاء المعري ونقده* .القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٨٧.

[3] ابن العديم .(2009) *تاريخ حلب* .دار الفكر، ص٩٧.

الوقت نفسه، تداولت الأحاديث حول ما يجري في بلاطه من عبث الغلمان ومكايد الهزل، بينما كان البلد يواجه خطر الغزو.

في ظل هذه الظروف المزرية، كان الغزو يعني مذابح وهتك أعراض وانتهاك للحرمات، مما زاد من حدة الخوف والارتباك بين الناس، الذين كانوا في حالة فوضى بين العودة إلى ديارهم أو الفرار منها.

تتسم "رسالة الصاهل والشاحج" بعمق فهم المعري للظروف التي أحاطت بكتابتها. فقد جاء التأليف في فترة شهدت توتراً بين الحاكم الفاطمي وعزيز الدولة، مما ساهم في تكوين مناخ قلق وعام من عدم الاستقرار. كان هذا الصراع السياسي محط اهتمام العديد من المفكرين والأدباء، حيث أدى إلى حالة من الفوضى والاضطراب الاجتماعي.

كانت هناك إشارات في هذا السياق إلى غزو روماني محتمل، مما أدى إلى نزوح عدد كبير من العائلات من القرى والمدن القريبة، حيث حاول الكثيرون الفرار من العنف والاضطهاد. هذا النزوح الجماعي يعكس الإحباط والمخاوف التي كانت تساور المجتمع في تلك الفترة، وهو ما جسده المعري بأسلوبه الفني المتميز.

فقد صور أحوال النازحين ومعاناتهم بطريقة تعكس الواقع الاجتماعي والسياسي في حلب آنذاك، مُستعينا بتفاصيل دقيقة عن مشاعر الخوف والفقد والبحث عن الأمل في أوقات الشدائد [١].

تتجاوز الرسالة كونها عملاً أدبياً لتصبح وثيقة اجتماعية تسلط الضوء على تأثير الأحداث السياسية على حياة الأفراد، مما يجعلها مصدراً غنياً لفهم تلك الفترة من تاريخ حلب، ويساعد في تسليط الضوء على تأثير الصراعات السياسية على النسيج الاجتماعي والثقافي للمدينة [٢].

يُبرز هذا السياق التاريخي التوترات التي كانت سائدة آنذاك ويُفسر كيفية تأثر المعري بهذه الأحداث عند تأليفه الرسالة، مما يعزز الفهم الشامل للموضوع.

التحليل الأدبي

تتجاوز "رسالة الصاهل والشاحج" مجرد كونها نصاً أدبياً؛ فهي تجسد موقف المعري من الأحداث التاريخية وتعرض تعبيراته الأدبية من خلال شخصيات حيوانية. استخدم المعري تقنية "التمثيل الحيواني" لتقديم رؤيته للأحداث بطريقة مبتكرة، حيث تتحدث الفرس (الصاهل) والبغل (الشاحج) عن تجاربهم ومعاناتهم. يُعتبر هذا الأسلوب بمثابة تجسيد لأفكار المعري ورؤيته للعالم من حوله، حيث يعكس من خلاله السلوكيات البشرية والأخلاق السياسية بصورة رمزية تعكس واقع المجتمع الذي عاش فيه [٣].

ويمتاز هذا العمل بأسلوبه الساخر والذي يهدف إلى نقد الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة في زمن المعري. فعلى الرغم من استخدام شخصيات حيوانية، إلا أن الحوار الذي يجري بين الفرس والبغل يتناول موضوعات جدية مثل الفساد والمآسي السياسية، مما يجعل من الرسالة عملاً ذا مغزى عميق، يتناول موضوعات معقدة بأسلوب خفيف ومحبب [٤].

---

[١] يوسف، عبد الرحمن. (١٩٩٨). *أدب الفتن في العصر الوسيط: قراءة في نصوص أدبية*. القاهرة: دار الكتب المصرية، ص٣٣.

[٢] إسماعيل، سامي. (٢٠٠١). *التاريخ الاجتماعي للمدن الإسلامية: حلب نموذجاً*. دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ص٧٧.

[٣] الأحمد، مروان. (٢٠٠٥). *الرمزية في أدب المعري: دراسة في نصوص مختارة*. بيروت: دار الجيل.

[٤] أحمد، عادل. (٢٠١٠). *الأدب العربي في العصور الوسطى: قراءة تحليلية*. القاهرة: دار المعارف، ص٧٧.

وتؤكد الدكتورة بنت الشاطئ على أن "الصاهل والشاحج" ليست مجرد مجموعة من الحكايات المتنوعة، بل هي قصة واحدة مترابطة الأجزاء. إذ تقدم نمطاً جديداً من السرد الأدبي يتجاوز الأسلوب التقليدي السائد في الأدب العربي، ليشكل تجربة فريدة في تاريخ الكتابة. فهي تستخدم البناء القصصي المرتبط بالتجارب الحياتية، مما يُعطي النص طابعاً ديناميكياً ويجعله يتفاعل مع القضايا الملحة في عصره [١].

كما أن المعري يُبرز من خلال هذا العمل القدرة على استخدام الرموز لإيصال الرسائل الأخلاقية والفكرية، مما يجعل من "رسالة الصاهل والشاحج" نموذجاً يثري الأدب العربي ويعكس تطور التفكير النقدي في عصره.

الرسالة كمصدر اجتماعي وسياسي

يعتبر المعري في "رسالة الصاهل والشاحج" لسان حال المجتمع في تلك الفترة، حيث يعكس قلق الناس وفزعهم من الغزو الروماني. يتناول النص مشاعر الخوف وعدم الاستقرار، ويعكس كيف أن السياسة والقرارات الحكومية تؤثر على حياة الناس بشكل مباشر. يُظهر المعري بوضوح كيف أن الأوضاع السياسية السيئة تؤدي إلى معاناة الأفراد والمجتمعات، مما يعكس الواقع الاجتماعي المعقد الذي عاش فيه [٢].

يعكس المعري في رسالته القضايا الجوهرية التي كانت تؤرق المجتمع، مثل الفساد السياسي والطموحات الشخصية التي تُقدم على حساب مصلحة المجتمع. يتجلى ذلك من خلال شخصيات النص التي تُعبر عن الاستياء من القيادات السياسية، حيث يتحدث "الصاهل" و"الشاحج" عن الفوضى والخلل في الحكم، مما يجعلهما صوتاً مميزاً يعبر عن الهموم العامة [٣].

تُعتبر هذه الرسالة دليلاً على الوعي السياسي والاجتماعي للمعري، حيث تمكن من استخدام الأدب كأداة لتوجيه النقد الاجتماعي. فهو لا يكتفي بسرد الأحداث، بل يعمد إلى تحفيز التفكير النقدي في صفوف المجتمع من خلال طرح الأسئلة حول الأخلاق السياسية والقرارات الحكومية، وهو ما يجعل من "الصاهل والشاحج" مصدراً مهماً لفهم طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم في تلك الحقبة [٤].

تُظهر الرسالة كيف أن الأدب يمكن أن يُعبر عن حالة المجتمع السياسية والاجتماعية، حيث يسهم المعري في تشكيل الوعي الجماعي من خلال تناول قضايا معاصرة تعكس واقع الحياة اليومية، مما يضفي على عمله بعداً تاريخياً واجتماعياً عميقاً.

يسعى أبو العلاء المعري في "رسالة الصاهل والشاحج"، إلى تقديم نفسه في صورة الهازئ المتهكم على أولئك الذين ينشغلون بالعروض الشعرية عن الفروض الأساسية، وبالكتابة الشعرية بدلاً من حماية الحدود وسد الثغور. لذلك، حرص على جذب انتباه الشعراء والفقهاء في الحضرة العليّة إلى نوع من الألفاظ اللغوية المعقدة، مقدّمًا لهم تراكيب لغوية تجعلهم لا يستطيعون المرور عليها بسهولة، وذلك من خلال أسلوب مليء بالألغاز والتورية. فباعتباره خبيرًا في اللغة، يملك القدرة على توظيف الألفاظ بطريقة تشد انتباههم، ويثبت نفسه كأستاذ لغوي بارع يمتلك مفاتيح اللغة، ويدرك خفاياها وتحدياتها.

---

[١] بنت الشاطئ. (١٩٩٨). *مع المعري: دراسات أدبية وفكرية*. دمشق: دار الفكر، ص٧٧.

[٢] القفطي، أحمد. (٢٠٠٥). *تاريخ الأدب العربي: من الجاهلية إلى العصر الحديث*. القاهرة: دار العلوم، ص٩٧.

[٣] ابن العديم، علي. (١٩٨٧). *بغية الطلب في تاريخ حلب*. حلب: مطبعة حلب، ص٣٢٣.

[٤] الذهبي، شمس الدين. (٢٠٠٠). *تاريخ الإسلام*. بيروت: دار الكتاب العربي، ص٣٢.

ومن الجدير بالذكر أن المعري عندما يؤرخ للمرحلة، يُشير إلى الشخصيات التاريخية بأسمائها وألقابها، ويدوّن الأحداث الزمانية والمكانية بأدق التفاصيل. لكنه يروي ذلك على ألسنة الهائمين بأسلوب جديد وغير مسبوق. فالرسالة تُعتبر تشخيصًا فنيًا لعالم الإنسان عبر منطق الحيوان، وعرضًا لتاريخ عصر الرسالة، مع تصوير للأحداث الاجتماعية والبيئية من منظور شاهد عيان، يتم التعبير عنه عبر ألسنة الحيوانات التي اختارها المعري، حيث أعطى لكل حيوان دورًا محددًا في الحوار، مما يعطي انطباعًا وكأنها دمى مسرحية يحركها مخرج خفي بخيوط غير مرئية.

في هذا السياق، تشير الدكتورة بنت الشاطئ إلى أنه قبل العثور على النص الكامل للرسالة في الخزانة الملكية بالرباط، كانت التقديرات تفيد بأنها محاكاة لقصص كليلة ودمنة التي ترجمها ابن المقفع إلى العربية. وبينما يتشاركون في استخدام الحيوان كوسيلة لرواية القصة، إلا أن "كليلة ودمنة" تُعرض بأسلوب حكاية في مجلس للملك، حيث يتم تقديم قصص متنوعة لا تتصل ببعضها زمنياً أو مكانياً، ولا تربطها بالعالم البشري سوى العبر والدروس المباشرة. وتضيف الدكتورة بنت الشاطئ أن الأمر مختلف تمامًا في "رسالة الصاهل والشاحج"، حيث إنها ليست مجموعة من الحكايات المتفرقة، بل قصة واحدة مترابطة في فصولها ومشاهدها. كما أن صياغة الحوار فيها تتم بأسلوب تشخيصي وتمثيلي مليء بالحركة والحيوية، مما يجعل المشاهد يشعر وكأنه يتابع تمثيلية يؤديها شخصيات حيوانية، تدور أحداثها حول معاناتهم في معرة النعمان، وموضوعها الرئيسي يتمحور حول جفلة الناس ونزوحهم بسبب مخاوف غزو ملك الروم باسيل لحلب [1].

يتناول أبو العلاء شكاوى بني أخيه التي أشار إليها في مقدمة الرسالة، ويمضي في التعبير عن هواجسه ورؤاه وأحاسيسه، مُصورًا حال نازحي حلب ومعاناتهم القاسية، مستفيدًا من جماليات النص الأدبي في إبراز قبح الفكر السياسي ونواياه الخبيثة.

المبحث الأول: رمزية الحيوانات في *رسالة الصاهل والشاحج*

يستعين أبو العلاء المعري في *رسالة الصاهل والشاحج*، برمزية الحيوانات ليجسد أفكاره ومواقفه من المجتمع والسياسة، مما يجعل هذه الرسالة عملًا أدبيًا رمزيًا فريدًا. وتعتبر رمزية الحيوانات أداة تتيح للمعري النقد بطريقة غير مباشرة، حيث تعبر عن الصراع الداخلي للإنسان مع القوى الاجتماعية والسياسية والدينية التي تفرض عليه نوعًا من الاستلاب أو الفقدان. ويعكس استخدام المعري للحيوانات كرموز تعبيرًا عن القضايا الإنسانية العميقة، ويجعل من رسالته مساحة للتأمل في قيم الحرية والعدالة والنقد الاجتماعي

١- **الصاهل والشاحج كرمزين للنقد الاجتماعي والسياسي**: تتجلى في رسالة "الصاهل والشاحج" لأبي العلاء المعري الرمزية العميقة التي يحملها كل من الصاهل (الحصان) والشاحج (البغل). يُظهر المعري من خلال هذين الرمزين الصراع الطبقي والاجتماعي الذي يعيشه المجتمع. فالحصان، المعروف برشاقته وقوته، يُعبر عن الطبقة النبيلة أو المثقفة، التي تمتلك شيئًا من الحرية والقدرة على اتخاذ القرارات. في المقابل، يرمز البغل، الذي يتميز بمظهره المتواضع وقدرته على التحمل، إلى الفئات الاجتماعية الأدنى التي تعاني من قيود السلطة واستغلال النخب الحاكمة. تتضح هذه الرمزية في الفقرة الشهيرة التي يقول فيها المعري: "ما كسبت أيدينا، بل ما جرّه إلينا من يملك أمرنا، وجعلنا نُقاد بما لا يوافقنا"[2]، تعكس هذه العبارة إحساس العجز والاستلاب الذي يعاني منه الأفراد، حيث يتم تحويلهم إلى أدوات تُستخدم في خدمة

---

[1] بنت الشاطئ، (تاريخ غير محدد). *دراسات في الأدب العربي*. دار الفكر، ص٥٦.

[2] المعري، رسالة الصاهل والشاحج، ص. ٤٥.

مصالح الآخرين، يُظهر المعري كيف يُسلب الناس إرادتهم، مما يُبرز التوتر بين السلطة وحرية الفرد .

ويعد الصاهل (الحصان) صورة للنبالة، حيث يُعتبر رمزًا للقوة والجمال، مما يمنح من يمتلكه مكانةً اجتماعية مرموقة. بينما يُظهر الشاحج (البغل) صورة للأجور والفقر، حيث يعيش في ظل التقاليد الاجتماعية التي تجعله تابعًا لمن هم أعلى منه. من خلال هذه الرمزية، يتناول المعري مشكلة الاستبداد والظلم الاجتماعي، مُشيرًا إلى كيفية استغلال النخب السياسية للطبقات الدنيا. إن تصنيف الناس استنادًا إلى فئاتهم الاجتماعية يُعتبر أحد محاور النقد الاجتماعي الذي يقوم به المعري، حيث يشدد على الحاجة إلى العدالة والمساواة.

أ- شخصية الشاحج (البغل):

يعكس استخدام المعري للشخصيات الحيوانية، مثل البغل، عمق المخزون الثقافي العربي وثراء الذاكرة الأدبية التي تحتضن حكايات ورموزًا دلالية عديدة. حيث يشكل توظيف المعري لهذه الشخصيات استثمارًا فنيًا لتصورات ورموز قديمة تحمل في طياتها معاني مجازية وأبعادًا نقدية واجتماعية. فقد ارتبط البغل، على سبيل المثال، في الثقافة العربية بمكانة خاصة، إذ كان يُعتبر ركوبه دليلاً على رفعة الشأن وعلو المنزلة.

ويظهر هذا التوجه في أعمال الجاحظ، الذي أفرد كتابًا خاصًا عن البغال منفصلًا عن كتابه "الحيوان". يقول الجاحظ في مقدمة كتابه عن البغال: "نَبْدَأُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِمَا وَصَفْت الْإِشْرَافَ مِنْ شَأْنِ الْبَغْلَة فِي حُسْنِ سِيرَتِهَا وَتَمَام خَلْقَهَا، وَالْأُمُور الدَّالَّةِ عَلَى السِّرِّ الَّذِي جَوْهَرهَا وَعَلَى وُجُوهِ الِاتِّفَاق بِهَا وَعَلَى تَصَرُّفَهَا"[1]، ما يعكس اهتمامه البالغ بجوانب عدة تتعلق بهذا الحيوان، ليس فقط من حيث صفاته الجسدية، بل من حيث رمزيته الاجتماعية.

وتحوي الذاكرة العربية، كما جاء في سرديات الجاحظ، على العديد من القصص التي تعكس أهمية البغل ورمزيته في المجتمع العربي، مما يضفي على شخصية البغل في الأعمال الأدبية أبعادًا دلالية عميقة ترتبط برفعة شأن من يمتطيه وعلو مكانته في المجتمع.

أظهر المعري تنوع الدلالات المرتبطة بالبغال في الثقافة العربية، حيث عكست هذه الرموز وجهات نظر متعددة نحو هذا الحيوان. فمن جانب، يرتبط ذكر البغل بضعف الأصل ودنو المنزلة الاجتماعية، ويعزى ذلك إلى عدم تناسب البغال مع مثيلاتها من حيث النسب، حيث غالبًا ما يكون نتاجها من تزاوج الفرس مع الحمير، مما جعل بعض الأمثال الشعبية تعبر عن هذا الانطباع كقولهم: "لا البغل نغل، وهو لذلك أهل"[2]، وفي موقف آخر يُروى أن البغل عندما سُئل عن والده، أجاب قائلاً: "الفرس خالي" [3]، وهو ما يعكس حاله الملتبسة بين عالمين مختلفين.

إلى جانب هذا المعنى، نجد في الثقافة العربية اتجاهات أخرى تصف البغال من منظور إيجابي، حيث تُعرف بالصبر وقوة التحمل، وهو ما يميزها عن بقية الحيوانات. فالبغال تُظهر قدرة مدهشة على تحمل الأثقال ومواصلة السير فترات طويلة، ويعتقد البعض أنها تلجأ إلى هذا الصبر كشكل من أشكال الراحة، حيث يروى أن "البغال تحمل أثقالها عشية، فتسير بقية يومها وسواد ليلها، وصدر نهارها غدها"[4]، وقد أشار بعض العُمّال إلى أن البغال تلجأ لهذه الصلابة بمحض إرادتها، ما يجعل من قدرتها على التحمل مصدر إعجاب ودهشة.

---

[1] الجاحظ، الحيوان، ص، ٣.
[2] المعري، ١٩٩٠، ص، ١٥٥.
[3] المعري، ١٩٩٠، ص، ١٥٦.
[4] المعري، ١٩٩٠، ص، ١٥٧.

وفي هذا السياق، يبرز المعري الوصف الرمزي للبغال كأداة طيّعة للإنسان، حيث تظهر مطيعة وصبورة، غير أنها في نصوصه تكتسب طابعًا قصصيًا عميقًا من خلال أسلوبه الذي يعتمد على الحكاية لتوصيل الأفكار. ففي "رسالة الصاهل والشاحج"، نجد شخصية البغل (الشاحج) يتحدث بلسانه، ويقول في إحدى المناسبات: "وَمِنْ الْعَجَائِبْ أَنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ أضحى أو أَفْطر، وَهُمْ كُلُّ تَفْل * بِعِطْر"[1]، مما يعكس أسلوب المعري الذي يمزج بين النقد الاجتماعي والفكاهة من خلال استخدام الرموز الحيوانية، مما يضفي عمقًا فكريًا وتنوعًا دلاليًا على نصوصه.

يركز السارد على شخصية البغل، ويمنحها صفات مميزة تجذب انتباه المتلقي، مما يتيح للرمز الحيواني أن يحمل دلالات عميقة تتجاوز الوصف السطحي. يظهر البغل، أو "الشاحج"، في النص محاطًا بعلامات رمزية، مثل "الحجاب السميك فوق العينين"، الذي يرمز إلى عدم الوضوح أو تشوش الرؤية، سواء في المعنى الحرفي أو الرمزي. هذه الصورة تقدم إيحاءً بأن البغل يمتلك رؤية محدودة، تخضع لقدره وللقوى التي تتحكم فيه، حيث يقول السارد: "وَلَا يَقْنَعْ لَهَا الْقَدْر بالأين حَتَّى يَأْمُرَ بِتَخْمِير الْعَيْن" [2]، تتسم خطوات البغل بالثقل والصعوبة، حيث إن "الخطوة لَهَا مِنْ العبئ قَصِيرَة"، وكأنها مقيدة بعبء ثقيل يقيد حركتها ويضعف مسارها. ومع ذلك، نجد تناقضًا واضحًا في وصفها بأنها "عمياء بصيرة"، وهو ما يعكس رؤية البغل المحدودة، لكنها بصيرة بما يكفي لتتبع مسارها رغم المعوقات. وتزداد هذه الصورة وضوحًا عندما يصف السارد كيف أن البغل في أوقات النجر "يَكْفُ بَصَرَهَا عِنْدَ الْفَجْرِ فَتَنْظُرُ إلى الْقَمَرِ دُونِ الشَّمْسِ"، مما يشير إلى تركيزها على ما هو بعيد ومجازي، كما لو أنها تفضل التأمل في أشياء عميقة ولكن بعيدة، بدلاً من مواجهة الواقع المباشر.

تختزل هذه الصفات صورة البغل كشخصية ترمز إلى الكائن الذي يثقل كاهله القدر، ولكنه يحاول الاستمرار في التعايش مع ظروفه المحددة. وبهذا، يتحول البغل في نصوص المعري إلى رمز يشير إلى الصبر والكفاح، لكنه في الوقت نفسه يعكس الإحساس بالعجز والاستلاب.

ب- **شخصية الصاهل (الفرس)**

تُظهر العلاقة بين الشاحج (الحمار) والصاهل (الفرس) تباينًا واضحًا في الديناميكية الاجتماعية بين شخصيتيهما، حيث تتجلى في هذه العلاقة طبيعة التفاوت الاجتماعي والاختلاف في المكانة. تبدأ هذه العلاقة بصورة غير متكافئة، حيث يرغب الشاحج في التواصل مع الصاهل، لكن الصاهل يقابل هذه الرغبة بنفور واضح، مما يعكس حالة من عدم التوازن. يمكن وصف العلاقة بأنها "حب بكراهية"، حيث يضطر الشاحج إلى التودد رغم إدراكه لعدم قبول الصاهل به.

يظهر الصاهل تحقيرًا واضحًا للشاحج في رده على ادعائه بالخؤلة، مشيرًا إلى أنه يعتبر هذا الادعاء إهانة تسيء إلى مكانته. يُظهر الصاهل بفخر احتقاره للشاحج من خلال سلسلة من الاستفسارات الاستنكارية، مثل: "زَعَمَت إِنِّي أَخَالُك؟ وَأَيْنَ الْأُفُق مِنْ اللِّئِيمِ وَلَدَتْهِ غافق"[3]، هنا، يُبرز الصاهل فخره بمكانته ويؤكد على تفوقه على الشاحج، مُعتبرًا إياه مجرد مخلوق ذليل. كما يعبر عن هذا الفخر بنقد لا يرحم لسمعة الشاحج عندما يتساءل عن كيفية الدعوة التي ادعت أن أمه فرس، قائلاً: "لَيْسَتِ الرَّقْلة عَمِّهِ للشيحة ولا خَالِه" [4].

---

[1] المعري، ١٩٩٠، ص، ١٥٨.
[2] المعري، ١٩٩٠، ص، ١٥٩.
[3] المعري، ١٩٩٠، ص، ٢٠٠.
[4] المعري، ١٩٩٠، ص، ٢٠٥.

على الرغم من هذا الاستهزاء، يستمر الشاحج في محاولاته لإقامة صلة، مُظهرًا تصميمًا على كسب ثقة الصاهل من خلال طلب المساعدة: "وَقَدْ عَزَمَتْ يَا خَالِي، أن اسْتَوْدَعَكَ رِسَالَة إِلى حَضْرَةِ هَذَا الْأَمِيرُ لِيَذْكُر بولاة العَدْل"[1]، تتجلى في هذه العبارة رغبة الشاحج في تأسيس علاقة قائمة على التعاون والمساعدة، مما يعكس سعيه المستمر لتجاوز التحديات الاجتماعية التي يواجهها. هذا التفاعل بين الشاحج والصاهل يُعبر عن صراع الطبقات والامتيازات في المجتمع، مما يجعل من هذا النص ميدانًا خصبًا لاستكشاف القيم الاجتماعية والثقافية التي تحكم العلاقات بين الأفراد في سياقهم.

تظهر العلاقة بين الشاحج والصاهل تباينًا واضحًا في الديناميكية الاجتماعية بين الشخصيتين، حيث تمثل العلاقة حالة من عدم التوازن. الشاحج يرغب في التواصل بينما يواجه صده من الصاهل، مما يعكس فارق الطبقات. يُمكن وصف هذه العلاقة بأنها "حب بكراهية"، حيث يسعى الشاحج للتودد رغم إدراكه لرفض الصاهل له.

يبرز الصاهل تحقيرًا واضحًا للشاحج في رده على ادعائه بالخؤلة، مشيرًا إلى أن هذا الادعاء يعد إهانة لمكانته. يُظهر ذلك من خلال استفساراته الاستنكارية مثل: "زَعَمَت إِنّي أخَالُك؟ وَأيْن الْأُفُق مِنْ اللّئِيم وَلَدَتْهِ غافق"[2]، (ويؤكد من خلال هذا الرد على تفوقه على الشاحج، معتبرًا إياه مخلوقًا ذليلًا، كما يتضح من قوله: "لَيْسَتِ الرّقْلة عَمّهِ للشيحة ولا خَالِه"[3].

رغم الاستهزاء، يستمر الشاحج في محاولاته لتأسيس علاقة، حيث يسعى لكسب ثقة الصاهل عبر طلب المساعدة: "وَقَدْ عَزَمَتْ يَا خَالِي، أن اسْتَوْدَعَكَ رِسَالَة إِلى حَضْرَةِ هَذَا الْأَمِيرُ لِيَذْكُر بولاة العَدْل"[4]، تعكس هذه العبارة رغبة الشاحج في التعاون، مما يُبرز التحديات الاجتماعية التي يواجهها.

وفي تحول إلى مستوى أعمق من التحليل، يقدم السارد صورة الصاهل كرمز لفئة أعلى في المجتمع، تعكس صورة المكابر المتعالي. يقول السارد أن "وجه الصاهل الخفي إذا ما حملنا صورته على المجار"، مما يشير إلى صفاته الاجتماعية المتعالية وطباعه الحسودة والمتعصبة لرأيه[5].

كما يستحضر الصاهل نماذج اجتماعية موروثة من الذاكرة العربية التي تحتل مكانة عالية في سلم الهرم الاجتماعي، ويستشهد بمثل قائلاً: "مَا ظَنُّك بجليلة، أُخْتُ جَسَّاس"، ويطرح أسئلة حول العلاقات الاجتماعية مثل: "أمَّا يُقرَ (بنو بدر) عَلَى أنّ يَكُونَ لِلْحَبَشَة أسرَه؟" [6]، هذه الاستحضارات تعكس قيمًا اجتماعية متجذرة تؤثر على التفاعلات بين الشخصيات وتبرز الفوارق الطبقية في المجتمع.

ج- **الفاختة (الحمامة)**

وَهِيَ في رسالة الصاهل والشاحج، لم تدخل الفاختة في حوار مع الشاحج بل اكتفت لحضورها المتقلص - بأن تنجر أحداثا ذات صبغة فعلية، متحالفة ذلك فباستغلال عينها في الغمز من أجل إلحاق الإساءة بالشاحج المعصوب العينين ومحاولتها إفشال مسعاه، ومن ثم بدت صلتها

---

[1] المعري، ١٩٩٠، ص، ٢١٠.
[2] المعري، ١٩٩٠، ص، ٢٠٠.
[3] المعري، ١٩٩٠، ص، ٢٠٥.
[4] المعري، ١٩٩٠، ص، ٢١٠.
[5] المعري، ١٩٩٠، ص، ٢٢٠.
[6] المعري، ١٩٩٠، ص، ٢٣٠.

بالشاحج صلة عدائية فاعلة قاعدتها المخادعة، أما دورها الذي أراده لها السارد فيتلخص بأن تكون فيصلا بين الصاهل والشاحج، في الخصومة التي نشأت بينهما من ادعاء الشاحج مقدرته على النظم. إلا أن الذي رشح الفاختة لتكون حكما، أحد المتخاصمين معللا ذلك بقوله: "إذَا كَانَتْ حِكَايَة صَوْتَهَا جِنْسًا مَوْزُونًا، وَمَنْ تَأمَّلَ ذَلِكَ وَجَدَهُ كَمَا ذَكَرْت"، هَذَا مِنْ جِهَةٍ وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى: "إذا كَانَت شاعرة فَأَرَدْتُ أَنْ اسْتُعِين بِهَا عَلَى أَحْكَامِ الشِّعْرِ، أَوَلَيْسَ قَدْ كُلْن السَّادَات إذَا اخْتَلَفُوا فِي أَمْرِ الشِّعْرِ سَأَلُو عَنْه حسان وجرير والفرزدق وغيرهم" [1]، أما ادعاء العامة في كذبها، فالصاهل يراه تحرص عليها، ولكن الشاحج يخالف الصاهل في ذلك ولا يرى فيها حكما عادلا، وذلك لأن أول ظهور لها على مسرح الأحداث كان مدعاة للفسق والاحتيال، ومن ثم الظلم الذي يمقته المعري ويحاربه.

كان حضور الفاختة في رسالة الصاهل والشاحج متقلصًا، لذلك لم تتدخل في الحوار مع الشاحج بل اكتفت بأحداث ذات دور فعلي، متحالفة مع الصاهل، من أجل الحاق الإساءة بالشاحج ومحاولة إفشال مسعاه. إن شخصية الفاختة في الرسالة تمثل رمزًا لفئة اجتماعية، وتعودت على الكذب والخداع والدسيسة، شعارها النميمة وإيذاء الآخرين، وهذا النموذج موجود في المجتمعات وما رمزيتها إلا انعكاس لواقع اجتماعي عند المعري.

د- أبو أيوب (البعير)

جسد البعير النموذج الثالث من الشخوص الحيوانية في الرسالة، وهو يحتل المرتبة الثالثة من حيث المساهمة في النص القصصي. ولعل مشهد الناقة في الشعر الجاهلي من المشاهد المتكررة في القصيدة العربية، قد اعتادت الذائقة العربية المتلقية على استيعاب هذه المشاهد على اختلاف رسومها وصورها. يكاد يتفق أغلب من درس القصيدة الجاهلية على أن مشهد الناقة (الأنثى) يغلب على مشهد (الذكر) لأنها أكثر تحملاً للهاجرة.

ذكرنا آنفاً أن الفاختة كان لها دور سلبي تجاه الشاحج، الذي رفض حكومتها لما اشتهرت به من الكذب، مما جعلها تعكس الحوار الذي دار عنها بين الصاهل والشاحج، ومن ثم جعلت قول الصاهل عن وصفه البعير بالجهل محكيًا عن الشاحج. وهي بهذا الفصل السلبي ملأت صدر البعير غضبًا وحقدًا على الشاحج، مما جعل البعير يهاجم الشاحج دون سابق بينهما، ومن ثم يضج الشاحج ويصفه بسفه الحلم وخفة الوزن والطيش، لأن البعير لم يلتفت إلى ما هو متوارث عن كذب الفاختة كونه سريع الانقياد لما يلقى على مسامعه. إلا أن ثورة البعير تهدأ بعد تبصير الشاحج له، ويبادر للاعتذار من هذا السفه.

يلحظ المتلقي الصفات السلبية التي وصف بها البعير في الرسالة، ومن هذه الصفات: خفة الحلم، سرعة الهياج... ومراد ذلك الوصف لما حوته الذاكرة العربية من معرفة لسلوك البعير حصراً. فهذا الجاحظ في كتابه *الحيوان* يصفه بسرعة الصولة والغضب، حيث يقول: "إذا هاج للجمل للسفاد، لا يدع جملاً ولا إنسانًا يدنو من هجمته، والجمل على ضخامته"... [2].

هـ - الضبع

تكاد صفات الضبع التي رسمها أبو العلاء في الرسالة تفتقر كثيرًا عما اشتهرت به عند العرب. فقد عدت الضباع من أحمق البهائم، كما أنها اشتهرت بالخسة والدناءة لنبشها قبور الموتى طالبة طعامها. وتكنى أنثى الضبع بأم عامر، حيث يُنسب إليها الخسة والدناءة.

---

[1] المعري، ١٩٩٠، ص، ١٥٨.

[2] الجاحظ، كتاب الحيوان ٢١٣/١.

إن رفض الشاحج مساعدة الضبع كان بسبب حمقها وبلوغه حد اليأس في مسعاه. فالشاحج يرى أن الضباع اتصفت بالخسة والدناءة والحمق والمراوغة، وهذه الصفات تمثل واقعًا اجتماعيًا نعيشه. وهذا النموذج لا يستحق الجدل والإصلاح لأنه جبل على الخسة والدناءة.

لقد وظف المعري هذا الموروث في تصوير خسة البشر التي عدها أشد وطأة من الضباع، وما صورة الضبع عنده إلا رموزًا كني بها عن نمط من البشر، هذا البشر الذي يخشى منه المعري، ويخاف أن يحرف تراثه الفكري ويكيل عليه التهم والأباطيل. ويعبر المعري عن مخاوفه في قوله: "وَكَأَنِّي بِهَا تَزَاحُمِ الْكِلَابِ عَلَى أَوْصَالِي"[1]، وما تنبأ به المعري في مشهد خسة الضبع، حصل في حياته وبعد وفاته. فقد نعته بنعوت شتى - منها الفسق والإلحاد والكفر والفساد والعقيدة. إن الذي أنيط بأنثى الضبع في الرسالة يكاد يكون مختزلاً، وجدلية التحاور بينها وبين الشاحج كانت مختصرة إلى حد كبير، وذلك لأن الشاحج قد نعتها بالحمق قبل أن يجيبها عن أسئلتها الساذجة، فكانت الإجابة بصيغة الهزء والسخرية منها ومن طرحها. من جانب آخر، قدمت الضبع للشاحج عرضًا لإيصال رسالته إلى والي حلب بطريقة ملتوية على خلاف ما يريده الشاحج، فتقول: "وَلِيّ صَدِيقٌ مِنْ كِلَابِ (حلب) حَرَسَهَا اللّهُ، يَخْرُجُ إِلَيّ فِي اللّيَالِي الْمُقْمِرَةِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ بَعْضِ الْكِلَابِ الصائدَة يَلْقَه[2]" .

و- شخصية الثعلب

من خلال تصاعد الأحداث، يظهر الثعلب في المسار القصصي متخذاً لنفسه وظيفة المخلص أو المنقذ. وقد بدأ دوره في البناء الفني مزدوجاً؛ فهو من ناحية يعدل من وضعية البطل، فيجنبه السقوط إثر الشعور بالفشل ويبعث فيه الأمل بعد اليأس، وهو من ناحية أخرى يغير وجهة القص المقررة منذ البدء، فيدفع بها إلى مسالك جديدة ، فمن خلال هذا، يخوض السارد في أحداث حلب، وعلى خلاف باقي الشخصيات الحيوانية التي درسناها، نجد أن العلاقة بين الشاحج والثعلب اتسمت بالانسجام حتى وصلت إلى حد التضحية من طرف الشاحج وتركه عما يملك لفائدة الثعلب. وهو من فرط تسامحه يقول: "ولو قبلت كلاب المصر وصيتي لأوصيت لك بأطيب بضعة مني، لا بل بالثلث من لحمي[3]"، جاء هذا الانسجام بينهما بعد أن يئس الشاحج من جميع الحيوانات التي رفضت بدورها إيصال مظلمته إلى الحضرة العالية، حيث يقول: "وَالْيَأس إِحْدَى الرّاحَتَيْن وَصَبَرْت عَلَى أَمْرِ اللّهُ" [4].

لكن الثعلب، بمقرته اللغوية وحنكته، استطاع نقل الأحداث من نطاق ضيق تمثل بالقسم الأول من الرسالة إلى نطاق أوسع وأرحب، من خلال قول السارد: "فَبَيْنَمَا الشّاحِج، يُنَاجِي الضابح، سَمِعَا لجة فِي الْمِصْر - فَيَقُول الشّاحِج، إِلّا تَعْلَم لَنَا الْخَبَرُ يَا ثُعال؟"[5].

إن هذا الانفتاح في القص ساعد في التخلص من حدود المكان الضيق والمغلق، بالإضافة إلى تنازل الشاحج عن مسألته الذاتية المحدودة والمنحصرة في إبلاغه رسالته في صلب حياة الجماعة البشرية التي تطرح قضاياها الموضوعية.

جاءت رمزية الثعلب لسد النقص الذي اشتكى منه الشاحج، لأنه كان يمتلك عنصري المعرفة والإرادة فقط، لكن بسبب الحجاب الموضوع على عينيه، كان بحاجة إلى عنصر آخر مساعد وهو القدرة التي كملت بقدوم الثعلب.

---

[1] المعري، ١٩٩٠، ص، ٢١٦.
[2] المعري، ١٩٩٠، ص، ٢١٦.
[3] المعري، ١٩٩٠، ص، ٢١٦.
[4] المعري، ١٩٩٠، ص، ٢٥٨.
[5] المعري، ١٩٩٠، ص، ٢٦٠.

إن شخصية الثعلب في الرسالة جاءت مكملة لشخصية الشاحج بسبب الانسجام والتوافق بينهما. إن شخصيات الرسالة خليط متجانس من الشخوص الحيوانية، لكننا نجد بصمة الإنسان حاضرة في الرسالة، لأن المعري يعالج فيها قضايا اجتماعية وسياسية مختلفة. وتداخل الشخصيات فيما بينها، واستعمال المعري طرق وأساليب لتوضيح صور مجتمعية متنوعة، التي تظل مرسومة في الذاكرة العربية، وترابط أحداثها وتسلسلها، جعلها تتميز عن باقي أعمال المعري الأخرى التي تحدث فيها على ألسنة الحيوانات .

٢- **رمزية الحيوانات الأخرى واستكشاف أنواع الاستلاب**:

الأسد يُعتبر الأسد رمزًا للسلطة المستبدة، حيث يُشير إلى الحكام الذين يفرضون سيطرتهم على المجتمع بالقوة والعنف. يعكس الأسد هيمنة الطبقة الحاكمة على الفئات الضعيفة. يقول المعري: "لا يدرك الضعيف من تحت قسوة العلو إلا جراحتها، وكأن الأسد يُفترض أن يكون ملكًا للحياة، بينما هو في الحقيقة سجان للشعوب" [١] .

تبرز هذه الكلمات كيف يُستخدم العنف والسلطة لتحقيق الهيمنة، مما يُظهر البعد السلبي للقوة .الثعلب من جهة أخرى، يُمثل الثعلب رمز المكر والخداع. يُعبر الثعلب عن أولئك الذين يتلاعبون بالحقائق للوصول إلى أهدافهم، بعيدًا عن القيم الأخلاقية. في تصويره للثعلب، يشير المعري إلى أن "كأنهم ألسنة تستقي مائها من خداع الجداول، وتنتزع لنفسها الحقوق بالحيلة والمكر"[٢].

تُبرز هذه العبارة كيف أن الخداع يمكن أن يُستخدم كوسيلة لتحقيق الأهداف السياسية أو الاجتماعية، مما يُسلط الضوء على التحديات التي تواجه المجتمعات في ظل حكومات مستبدة .تحليل أعمق تشير هذه الرموز الحيوانية إلى وجود العديد من العناصر الاجتماعية والسياسية المعقدة التي تلعب دورًا في تشكيل العلاقات بين الأفراد في المجتمع. فبينما يرمز الأسد إلى القوة، فإن الثعلب يُعبر عن الخداع، مما يُظهر تنوع التكتيكات المستخدمة للحفاظ على السلطة والاستغلال. يعكس هذا التناقض بين القوة والخداع طبيعة الصراعات الاجتماعية، حيث يُسعى لتحقيق المصالح الخاصة على حساب الآخرين .

٣- **رمزية الحيوان كوسيلة للتعبير عن الاستلاب الديني في سياق الاستلاب الديني**:

يُوظف المعري الرموز الحيوانية للنقد اللاذع للسلطة الدينية التي تحكم الأفراد وتوجههم بعيدًا عن التفكير النقدي. يرمز الغراب، على سبيل المثال، إلى الظلام والانحراف عن الحقيقة. يُعتبر الغراب في النص تجسيدًا لتأثير المؤسسات الدينية التي تشكل عائقًا أمام الفكر الحر، حيث تبتعد بالأفراد عن التنوير والتفكير الذاتي. يقول المعري: "نحلق في ظلام دامس، وندعي أننا على نور يقين، وكلما اشتدت الظلمة ازداد الخوف وتضاعف الأمل في سراب لا يظهر[٣]"، تعكس هذه الكلمات الإحباط الذي يشعر به الأفراد حين يُخدعهم الظلام الذي تفرضه السلطة الدينية، مما يُظهر كيف أن الحقيقة غالبًا ما تُدفن تحت أنقاض الخداع والمظاهر البراقة .تحليل أعمق تُظهر الرمزية التي يحملها الغراب كيف أن المؤسسات الدينية قد تُستخدم كوسيلة للسيطرة على الأفراد ومنعهم من التفكير النقدي. يُعبر المعري عن القلق من أن هذه المؤسسات تفرض قيودًا على حرية الفكر، مما يؤدي إلى الاستسلام للجهل والتقليد الأعمى. إن استخدام الغراب كرمز للظلام يُظهر كيف أن الحقيقة

---

[١] المعري، ١٩٩٠، ص، ٧٢.
[٢] المعري، ١٩٩٠، ص، ٦٢.
[٣] المعري، ١٩٩٠، ص، ٧٢.

يمكن أن تُخفى، مما يُعزز من شعور القارئ بالحاجة إلى التحلي بالنقد والتمرد على القيود المفروضة.

خلاصة تتجاوز رمزية الحيوانات في "رسالة الصاهل والشاحج" مجرد كونها رموزًا للأنواع المختلفة من الاستلاب الاجتماعي والديني؛ بل تُشكل أيضًا وسيلة فريدة للتعبير عن الانتقادات العميقة التي يوجهها المعري تجاه السلطة. إن استخدامه لهذه الرموز يعكس تأملًا فلسفيًا حول طبيعة الحرية والعبودية، ويدعو القارئ للتفكير في القيم الحقيقية للعدالة والمساواة في مجتمع مليء بالتحديات. من خلال هذه الرمزية الغنية، تُبرز رسالة المعري صراعات الإنسان المعاصر، وتدعونا للتفكير في دورنا في مواجهة هذه التحديات.

المبحث الثاني: الاستلاب السياسي

١- رمزية الصاهل والشاحج كإسقاط سياسي

تستخدم رمزية الحصان (الصاهل) والحمار (الشاحج) في رسالة أبي العلاء المعري كتشبيهات تعكس الفئات السياسية المختلفة، مما يعكس استلاب السلطة وتفاوت القوى الاجتماعية.

تُعتبر رسالة "الصاهل والشاحج" لأبي العلاء المعري نصًا أدبيًا غنياً بالرموز التي تتناول الصراع الطبقي والاستلاب السياسي. من خلال رمزية الحصان (الصاهل) والحمار (الشاحج)، يُجسد المعري الفجوة الاجتماعية والسياسية بين الفئات المختلفة في المجتمع، مشيرًا إلى واقع مؤلم تعيشه الطبقات الشعبية تحت نير الاستبداد والفساد.

أ- (الصاهل)

يُعتبر الحصان (الصاهل) رمزًا للمقاومة والقوة. في هذا السياق، يُمثل الحصان الطبقات التي تسعى للتحرر من القيود السياسية والاجتماعية. يظهر المعري من خلال رمزية الحصان الأمل في التغيير والطموح نحو الحرية. يُبرز المعري هذه الرمزية في عدة مقاطع، منها قوله:

"يا صاهل الريح، إن خيل العقول في حلبة الرأي لا يُسحب إلا بالسوط" [١]، تشير هذه العبارة إلى أن الفكر الحر يحتاج إلى جهد وصمود في مواجهة الظلم، وأن التحرر لا يأتي دون معاناة. يُعبر الحصان عن الطموحات العليا للأفراد الذين يسعون لتحقيق تغيير اجتماعي، حيث يُظهر قدرتهم على مقاومة الاستبداد والظلم. الحصان هنا لا يمثل مجرد حيوان، بل تجسيد للأفكار النبيلة والقيم الإنسانية التي تسعى إلى تحقيق العدالة والمساواة.

يستمر المعري في استخدام هذه الرمزية لتسليط الضوء على أهمية الوعي السياسي لدى الأفراد، حيث يُظهر كيف أن الفشل في الاعتراف بالواقع القاسي يمكن أن يؤدي إلى الاستسلام والخضوع. يُعبر عن ذلك بقوله: إذا كان العبد لا يحيا إلا بذل، فمتى يَحيا العز والشرف"[٢].

ب- (الشاحج)

في المقابل، يُعبر البغل (الشاحج) عن الخضوع والاستسلام. يُستخدم الشاحج لتصوير الطبقات الكادحة التي تُستغل وتُقاد بدون إرادة أو وعي. في إحدى المقولات، يصف المعري حالة هذه الطبقات قائلاً:

"فالشاحج لا يرى في علو قامة العلو إلا عيبه، وكأنما خُلق ليرضى بما يُحكم عليه"[٣]. هذه الكلمات تعكس الإحباط واليأس الذي يعتري الأفراد الذين يعيشون تحت نير السلطة الاستبدادية. الشاحج هنا يمثل تلك الفئات التي فقدت القدرة على الحلم أو السعي نحو التغيير، وتقبلت واقعها

---

[١] المعري، ١٩٩٠، ص، ٥٠.
[٢] المعري، ١٩٩٠، ص، ٦٢.
[٣] المعري، ١٩٩٠، ص، ٥٦.

المرير كحقيقة لا يمكن التغيير منها. تُظهر الرمزية بين الصاهل والشاحج صورة معبرة عن الصراع الطبقي في المجتمع، حيث يُظهر الحصان الأمل والطموح، بينما يعكس الحمار واقع الاستغلال والخضوع. يعكس المعري من خلال هذه الرموز الفجوة العميقة بين الطبقات، مُبرزًا كيفية تأثير الاستبداد على الوعي الفردي والجماعي. فالصراع من أجل الحرية، كما يُظهر المعري، ليس مجرد صراع ضد القوى الظالمة، بل هو أيضًا صراع من أجل الوعي الذاتي وإدراك الحقوق.

تتجلى هذه الديناميكية في تحليله للمجتمع، حيث يُظهر المعري كيف أن القوى الظالمة تستغل الجهل والخوف في الطبقات الشعبية. يقول: الجهل يعد سلاحًا بيد الأقوياء، فمن جهل سلط عليه"[1].

بهذا، يُعبر المعري عن أهمية التعليم والوعي في مواجهة الاستبداد، مُشددًا على أن القوة الحقيقية تكمن في المعرفة والقدرة على النقد.

تجسد رمزية الصاهل والشاحج في رسالة المعري رؤية عميقة للواقع الاجتماعي والسياسي، حيث يُستخدم الأدب كوسيلة للنقد والتعبير عن الآلام والتطلعات. من خلال هذه الرموز، يُسلط المعري الضوء على ضرورة الوعي والتحرر من القيود المفروضة، مُبرزًا أن النضال من أجل العدالة والحرية هو مسعى يستحق التضحية والسعي.

٢- السخرية السياسية في مواجهة القمع

تُعد السخرية السياسية أحد الأدوات الأدبية التي يستخدمها أبو العلاء المعري في نقد السلطة وفضح الفساد. من خلال استخدام الرموز، يعبر عن استلاب الحقوق السياسية ويعكس رفضه للظلم والاستبداد، مما يجعله شخصية بارزة في مجال النقد الأدبي والسياسي في عصره. يُظهر المعري كيف يمكن أن تكون الفكاهة والسخرية أداة فعالة لتحفيز الوعي السياسي ودفع الناس نحو التفكير النقدي.

وتعد السخرية السياسية في مواجهة القمع تُعد أحد الأدوات الأدبية الفعالة التي يستخدمها أبو العلاء المعري في نقد السلطة وفضح الفساد. من خلال استخدام الرموز والتشبيهات، يعبر المعري عن استلاب الحقوق السياسية ويعكس رفضه للظلم والاستبداد، مما يجعله شخصية بارزة في مجال النقد الأدبي والسياسي في عصره.

يظهر المعري كيف يمكن أن تكون الفكاهة والسخرية أداة فعالة لتحفيز الوعي السياسي ودفع الناس نحو التفكير النقدي. من خلال تلميحاته الساخرة، يستنكر الظلم الاجتماعي والسياسي، ويستخدم الأدب كوسيلة لتحدي السلطة ومواجهة القمع.

يساهم المعري في تشكيل وعي جماعي يتجاوز حدود زمنه، مؤكدًا أن النقد الأدبي لا يقتصر فقط على الجماليات، بل يمتد ليشمل أبعادًا سياسية واجتماعية عميقة. إن استخدامه للسخرية يمثل نموذجًا حيويًا يذكرنا بأهمية التعبير الأدبي في مواجهة التحديات السياسية والحقوقية.

أ- **السخرية كوسيلة للتعبير عن الاحتجاج:** يستخدم أبو العلاء المعري السخرية كأداة للتعبير عن استيائه من الواقع السياسي والاجتماعي في عصره. تتجلى هذه السخرية في نصوصه من خلال الرموز والاستعارات التي تعكس الفساد المستشري في السلطة. في *رسالة الصاهل والشاحج*، يُشير المعري إلى وضع الفئات المظلومة فيقول: "وأنا أرى في الأرض أبناء الثرى، قد شحذوا الأسنة لملاقاة قوادهم"[2]. هذه العبارة تعبر عن استهزاء المعري بالحكام الذين يقودون شعوبهم إلى الهلاك، مما يسهل على القراء التواصل مع مشاعره ومعاناته

[1] المعري، ١٩٩٠، ص، ٤٥.
[2] المعري، ١٩٩٠، ص، ٤٥.

ب- **رمزية الشخصيات:** الشخصيات الرمزية التي يقدمها المعري في نصوصه تسلط الضوء على الفئات الاجتماعية التي تعاني من الظلم. على سبيل المثال، الفرس والبغل يمثلان الفئات المستضعفة التي تُسحق تحت وطأة الحكم الاستبدادي. يقول المعري: "قد أخذوا الحكمة في عرض الطريق، وأصبحوا يزجّون بأنفسهم في معارك لا طائل من ورائها" [١]، تعكس الشخصيات معاناة الجماعات المظلومة، مما يجعل القارئ يشعر بألمهم.

ت- **التركيز على المظاهر السطحية:** يركز المعري في بعض الأحيان على المظاهر السطحية للساسة والأغنياء، مستخدمًا الفكاهة لتعرية عيوبهم. يقول في إحدى مقاطع الرسالة: "قد لبسوا الأزياء، ولكن قلوبهم عارية من الأخلاق" [٢]. من خلال هذه الاستراتيجية، يدفع القارئ إلى التفكير في المعاني الأعمق وراء تلك المظاهر، مما يعزز من نقده للواقع.

ث- **التناقض بين القول والفعل:** تظهر سخرية المعري من خلال التناقض بين ما تقوله السلطة وما تفعله، مما يعكس عدم مصداقيتها. في هذا السياق، يقول: "يقولون إنهم حماة العدل، ولكنهم أول من يضرب بالسوط" [٣]. يدعو هذا التناقض القارئ إلى التساؤل عن حقيقة الوضع الراهن، مما يُشجع على التفكير النقدي والتحليل.

ج- **دور السخرية في تحفيز الوعي:** استخدام المعري للسخرية لا يهدف فقط إلى التسلية، بل هو محاولة لتحفيز وعي سياسي واجتماعي لدى الجمهور. يُظهر ذلك في قوله: "إن كان الضحك ينبه، فليضحك النائمون حتى يستفيقوا من غفوتهم"[٤]، من خلال جعل القضايا السياسية موضوعًا للسخرية، يُسهل المعري على القراء فهم القضايا المعقدة ويحثهم على التفكير بشكل نقدي.

ح- **التحريض على التغيير:** من خلال تناول قضايا الظلم والطغيان بسخرية، يُحفز المعري الناس على البحث عن تغيير حقيقي. يقول: "ألا فلينبض في صدوركم صوت الحق، فلا تبقوا أسرى للظلم"[٥]. يطرح تساؤلات تتعلق بالعدالة والحرية، مما يشجع المجتمع على التحرك ضد الظلم.

خ- **استلاب الحقوق السياسية:** تتجلى السخرية السياسية في أعمال المعري من خلال تصويره القاسي للواقع السياسي الذي تعيشه المجتمعات تحت حكم الاستبداد. يقول المعري في إحدى عباراته الساخرة:"إن سيف الفساد على رقاب الضعفاء كعقدة الجمل، لا تُفك إلا بكلمة الحق [٦]"، تعكس هذه الصورة الفوضى التي تسيطر على الحياة السياسية، حيث يُظهر أن كلمة الحق هي الوسيلة الوحيدة لتحرير الضعفاء من قبضة الفساد. يُظهر المعري هنا كيف أن الفساد، مثل عقدة الجمل المعقدة، يُعيق تقدم الضعفاء ويجعلهم عاجزين عن المطالبة بحقوقهم. إن تصوير الفساد كسيف يقطع الأمل والطموحات يعكس عمق المعاناة التي يعيشها الناس، مما يستدعي ضرورة التحرك والمقاومة.

---

[١] المعري، ١٩٩٠، ص، ٦٧.
[٢] المعري، ١٩٩٠، ص، ١٢٣.
[٣] المعري، ١٩٩٠، ص، ٩٨.
[٤] المعري، ١٩٩٠، ص، ٥٦.
[٥] المعري، ١٩٩٠، ص، ١٣٤.
[٦] المعري، ١٩٩٠، ص، ٩٥.

د- **الحكام كرموز للفساد:** يستخدم المعري الرمزية ليمثل الحكام بالفساد، حيث يشير إلى أنهم: "كخنازير تلتهم الغلة"[1]، هذه الصورة تعكس ازدراء المعري للسلطة التي تتجاهل معاناة الناس، وتستغل موارد المجتمع لمصالحها الشخصية. من خلال تصوير الحكام على أنهم خنازير، يُبرز المعري كيف أن هؤلاء القادة يتصرفون كوحوش لا تهمهم إلا مصلحتهم الذاتية، مما يؤدي إلى استنزاف الموارد الوطنية وحرمان الطبقات الكادحة من حقوقها. هذا النوع من السخرية يُعتبر نقدًا لاذعًا للسلطة، حيث يُظهر كيف أن الحكام الفاسدين لا يرون في شعوبهم سوى مصادر للربح.

ذ- **الدعوة للوعي والمقاومة:** تُظهر السخرية السياسية في أعمال المعري كيف يمكن أن تكون الفكاهة أداة فعالة للنقد الاجتماعي. من خلال تصويره للسلطة بهذه الطرق، يُعبر المعري عن إحباطه من الواقع السياسي ويحث الناس على الوعي ورفض الظلم. في إحدى مقاطع نصه، يتساءل المعري: "ألا ترون كيف أُصبت بعمى البصيرة، فكم من معمى رأى وساكت؟"[2]. تشير هذه العبارة إلى الانبهار العام بالسلطة والفساد، حيث يعبر المعري عن قلقه من سكوت الناس عن الظلم الذي يحيط بهم. هذه السخرية تُعبر عن انتقاد المعري لثقافة الصمت والقبول، وتحث الناس على عدم الاستسلام للواقع المُر.

ر- **قدرة الأدب على التعبير:** تكشف هذه الرموز عن قدرة الأدب على التعبير عن الصراعات السياسية والاجتماعية. يتمكن الأدباء من تسليط الضوء على القضايا المعقدة بأسلوب يجذب انتباه الجمهور. يُظهر المعري أن السخرية ليست مجرد تسلية، بل هي أداة قوية للتعبير عن الرغبة في التغيير، مما يجعل نصوصه تتجاوز حدود الزمن والمكان. من خلال استخدامه لهذه الرموز، يُحفز المعري الوعي الجماعي ويشجع الناس على التفكير النقدي والتحرك ضد الظلم.

تعتبر السخرية السياسية في أعمال أبي العلاء المعري أداة فعالة للكشف عن الفساد والاستبداد. من خلال الرموز والصور المؤثرة، يُعبر المعري عن معاناة الناس ويدعوهم إلى الوعي والمقاومة. إن أسلوبه في النقد يُبرز القدرة الفائقة للأدب على مواجهة القضايا الاجتماعية والسياسية، مُظهراً كيف يمكن أن تكون الفكاهة وسيلة للتغيير. **إن** السخرية السياسية في أعمال أبي العلاء المعري ليست مجرد أسلوب أدبي، بل هي أداة فعالة تسهم في نقل رسائل قوية تتعلق بالحرية والعدالة. تعكس هذه السخرية العمق الفكري والمعرفي للمعري، مما يجعله واحدًا من أبرز شخصيات الأدب العربي الذي أسهم في تشكيل الوعي السياسي في عصره.

وقد يسخر أبو العلاء من الثقافة الرسمية في إمارات الغلمان، عندما يتصور الأمير ويصوره عالماً بالشعر، دقيق الاهتمام به وبشؤونه ومصطلحاته وأنواعه، وهو يعلم أنه مجرد غلام أو مولى رومي لغلام آخر من غلمان الحاكم بأمر الله. ولعل إغراق أبي العلاء في بعض التفاصيل المعرفية مما يتصل بمسائل البغل، يبدي الرغبة المكبوتة عند أبي العلاء نفسه لتحدي مجلس الأمير وإحراجه.

تضاعفت السخرية عندما ترد المعرفة على لسان الشاحج (البغل) وليس لسان أبي العلاء نفسه. ولا شك أن التحدي هو تحدي أبي العلاء، لكن هذه التمثيلية جاءت على لسان الشاحج، الذي يتظاهر باحترام الحضرة العالية التي هي الأمير وحاشيته، واحترام السلطة. وهذا كله لا يكفي

---

[1] المعري، ١٩٩٠، ص، ٧٨.
[2] المعري، ١٩٩٠، ص، ٨٥.

للكشف عن التلميح الساخر، بل ينتقد انتقاداً صريحاً أحياناً في بعض الشاحج، ومع الظواهر الثقافية مثل نقده للمديح والتكسب على لسان الشاحج.

وجاءت نماذج السخرية في الرسالة علي النحو الآتي:

١. الصاهل :يأنف من انتساب الشاحج إليه فيسخر من صورته ويقلل من قدره، وينكر عليه ادعاء نظم الشعر، مما يثير ذلك الكلام الشاحج فيرد عليه مؤكداً الخطأ في رؤيته، فهو غير مناسب لرفع مظلمته.

٢. سخرية الشاحج من الضبع :لعلمه بأنها أغبى وأحمق الحيوانات، ويهزأ من حمقها، حيث تلقي على الشاحج سؤالاً يحمله على السخرية منها خادعاً إياها بأنها هي من ذكرها الشعراء بالكنى مثل (أم عامر) و(أم عويمر) و(أم عمر) في أشعارهم.

٣. العروض واللغة :والشعر والرجز وغير ذلك يأتي في إطار هذه السخرية من الأمير، وبلاطه وشعرائه ومثقفيه.

وعبر التضخيم القصدي المبالغ فيه، كان أبو العلاء يمزق صورة المملوك أو الغلام وهو ينفخ في صورته ويبالغ فيها ليسخر منها بلغة يعرف أن الأمير وحاشيته عاجزون عن فهمها وإدراك مراميها. يقول على لسان "بَغْلَة" الذي أراد صياغة رسالته صياغة شعرية لينال حظوة عند الأمير:

"بغله وقد بَلَغَنِي أنّ لِلسَّيِّدِ عَزِيزُ الدَّوْلَة وَنَاجِ المِلَّة أمِيرِ الْأُمَرَاء مَجْلِسًا يَجْتَمِعُ فِيهِ الْفُقَهَاءُ وَأَهْلِ الْكَلَامِ وَالْأَدَبِ وَالشُّعَرَاءِ، وَلَو تَحَرَّى فِي الْمُتَطَوِّع، متحوب فقادني برسني حَتَّى أَقِف مِنْ ذَلِكَ الْمَجْلِس بِمَرْأَى وَمِسْمَعٍ لألقيْت مَسْأَلَة، ثُم فرعتها فخاض فِيهَا الْفُقَهَاءُ وَالْمُتَكَلِّمُون وَالشُّعَرَاء سَحَابَةً لَيْلَتَهُم تِلْكَ"[١].

تظهر هذه السخرية الأسلوب الفريد لأبي العلاء في استخدام الشخصيات الحيوانية لنقد المجتمع والثقافة السائدة في عصره، حيث يعكس من خلال الشاحج والثعلب تناقضات المجتمع وكوميديا الحياة اليومية.

القسم الثالث: الاستلاب الاجتماعي

يتناول هذا القسم من رسالة "الصاهل والشاحج" لأبي العلاء المعري مفهوم الاستلاب الاجتماعي، وكيف يعبر عن فقدان الهوية الاجتماعية الجماعية تحت تأثير القمع السياسي، بالإضافة إلى كيفية استخدامه الرموز للتعبير عن حالات الاغتراب والضغط الاجتماعي المفروض على الأفراد. يُظهر المعري في أعماله مدى تأثير السلطة في تفكيك الوحدة الاجتماعية وخلق حالة من الاستلاب تُفقد الأفراد انتماءهم لمجتمعاتهم.

١- استلاب الهوية الجماعية

الجماعية. يتناول أبو العلاء المعري في رسالة *الصاهل والشاحج* بعمق مفهوم استلاب الهوية الاجتماعية الجماعية في ظل القمع السياسي، حيث يُبرز كيف أن استغلال السلطة يعزز الانقسام والفوضى في المجتمع. يبين المعري أن القمع السياسي يؤدي إلى تفكيك الروابط الاجتماعية، مما يُسفر عن فقدان الأفراد لإحساسهم بالانتماء والهوية.

٢- فقدان الحرية الفكرية

يعكس المعري هذا الاستلاب من خلال تحذيراته حول تأثير فقدان الحرية الفكرية على الهوية الجماعية. في أحد مقاطع الرسالة، يقول: "إذا سُدَّت طرق العقول، فالصمت أفضل من ألف جملة"[٢]. هنا، يُظهر المعري أن الإخضاع الفكري يؤدي إلى تراجع الهوية الجماعية، حيث يُفضل

---

[١] المعري، ١٩٩٠، ص، ٢٢٠.

[٢] المعري، ١٩٩٠، ص، ٩٠.

الأفراد الصمت على التعبير عن آرائهم، مما يعكس حالة من الاستسلام والخنوع. يشير هذا أيضًا إلى أن القمع لا يقتصر فقط على العنف البدني، بل يمتد إلى العنف الرمزي المتمثل في تقييد الفكر والتعبير.

٣- تآكل الروابط الاجتماعية

تُعتبر الروابط الاجتماعية أساسًا للهوية الجماعية، وعندما تُفقد هذه الروابط، تتآكل الهوية. يُوضح المعري في رسالته كيف يُسهم القمع في تفكيك هذه الروابط، حيث يُعبر عن أن "كلما زاد الفقر، زاد الافتراق" [١]، يُعزز هذا القول فكرة أن الظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة تؤدي إلى تآكل الروابط الاجتماعية، مما يسفر عن عزلة الأفراد وفقدانهم للانتماء الجماعي.

٤- استلاب الهوية

يمكننا أيضًا أن نستنتج من نصوص المعري أنه كلما انعدم التواصل والتفاعل الاجتماعي، كلما زادت حالة الاستلاب. يتجلى ذلك في قوله: "أهل المدينة كما ترى، مختلفون في الهوى، فلا يلتقون إلا في الحاجة"[٢]، تشير هذه العبارة إلى أن العلاقات الإنسانية أصبحت متقاربة فقط في الأزمات والاحتياجات، مما يؤدي إلى فقدان الهوية الجماعية.

٥- دعوة للتغيير

على الرغم من سوداوية الوضع، يُعبر المعري عن أمل في إمكانية إعادة بناء الهوية الجماعية من خلال الوعي والنقد. يدعو الأفراد إلى التفكير في ظروفهم والعمل على تغييرها، فيقول: "فليس في الاستسلام أجر، ولا في السكوت بركة"[٣]، بهذه الدعوة، يشجع المعري الأفراد على مقاومة القمع واستعادة هويتهم من خلال العمل الجماعي والتفاعل الإيجابي.

يتضح أن المعري يُسلط الضوء على تأثير القمع السياسي على الهوية الجماعية في رسالة الصاهل والشاحج، من خلال استغلاله الرموز والاستعارات، يُبرز كيف يُفقد الأفراد إحساسهم بالانتماء ويعيشون حالة من الاستلاب. ومع ذلك، يحمل المعري في طيات رسالته دعوة للتغيير، مشجعًا الأفراد على استعادة هويتهم من خلال الوعي والعمل الجماعي. يُعكس هذا الفهم العميق للواقع الاجتماعي والسياسي في زمنه، مما يجعل المعري شخصية بارزة في الأدب العربي.

٦- النقد الاجتماعي من خلال الرمز

يُظهر أبو العلاء المعري في رسالة الصاهل والشاحج براعة في استخدام الرموز للتعبير عن الاستلاب الاجتماعي وحالات الاغتراب التي يعيشها الأفراد تحت وطأة القمع السياسي. إذ يعكس المعري كيف يؤدي الضغط الاجتماعي المفروض إلى انفصال الأفراد عن قيم مجتمعهم، مما يُشعرهم بالغربة في أوطانهم.

- **الرمزية السياسية**

تتجلى الرمزية في أعمال المعري من خلال تصويره للأفراد كأشخاص مقيّدين تحت سلطة حاكمة تُجرّهم وفق أهوائها، حيث يعبر المعري عن ذلك بقوله:

"يُجرّ كل إنسان إلى حيث يشاء الحاكم، وكأنما أُخرجوا من جُبٍّ واحد"[٤] ، تُظهر هذه العبارة تأثير السيطرة السياسية على الهوية الاجتماعية للأفراد، حيث تُظهر الرموز كيف أن الأفراد يُعانون من قمع مستمر، مما يؤدي إلى فقدانهم لإحساسهم بالانتماء والهوية.

---

[١] المعري، ١٩٩٠، ص، ٢٠٢.
[٢] المعري، ١٩٩٠، ص، ١١٠.
[٣] المعري، ١٩٩٠، ص، ١١٥.
[٤] المعري، ١٩٩٠، ص، ٢١٦.

- **تفكيك الهوية الجماعية**

يمثل الجب هنا رمزًا للجهل والقمع الذي يُخرج الأفراد من إطار هويتهم الأصلية. عندما يشير المعري إلى أنهم أُخرجوا "من جُبٍّ واحد"، فإنه يُعبر عن كيف تتشابه معاناتهم وتجاربهم، حيث يُجبرون على الانصياع للأوامر المفروضة عليهم من قبل السلطة الحاكمة. هذا التفكيك للهوية الجماعية ينتج عنه تفكك الروابط الاجتماعية، مما يخلق حالة من الانفصال بين الأفراد ومجتمعاتهم.

- **الاغتراب الاجتماعي**

بفضل الرمزية القوية التي يستخدمها، يُظهر المعري كيف يُجبر الأفراد على العيش في حالة من الاغتراب. فالعبارة المذكورة تُشير أيضًا إلى أن الأفراد ليسوا فقط ضحايا للقمع السياسي، بل أيضًا ضحايا للاغتراب الذي ينشأ عندما يختفي إحساسهم بالانتماء. فالأفراد يصبحون غرباء في مجتمعاتهم، حيث يُفقدون ارتباطهم بالقيم والأخلاق التي كانت تشكل جزءًا من هويتهم.

"إذا سُدَّت طرق العقول، فالصمت أفضل من ألف جملة" [1].

هذه العبارة تُبرز كيف أن فقدان الحرية الفكرية يُؤدي إلى تراجع الهوية الجماعية، حيث يُفضِّل الأفراد الصمت على التعبير عن آرائهم، مما يُسهم في عزلة الأفراد عن مجتمعاتهم.

- **دعوة للتفكير النقدي**

تؤدي هذه الرموز إلى تحفيز القارئ على التفكير النقدي، حيث تُجبره على إعادة النظر في الواقع الاجتماعي والسياسي الذي يعيشه. يدعو المعري من خلال هذه الصور الرمزية الأفراد إلى مقاومة الاستلاب الاجتماعي والسعي لاستعادة هويتهم المفقودة، مُشيرًا إلى أهمية النقد والمقاومة كوسيلتين لتحقيق التغيير.

يُظهر المعري من خلال استخدام الرموز في رسالة الصاهل والشاحج كيفية تأثير القمع السياسي على الهوية الاجتماعية للأفراد. إن استغلاله للرموز لتصوير حالات الاستلاب والاغتراب يُعزز من رسالته النقدية، مما يجعل القارئ يتأمل في تأثير السلطة على حياته وهويته. بالتالي، يبقى المعري رمزًا للأدب الذي يسعى لفضح الظلم والدعوة إلى الوعي الاجتماعي والسياسي.

٧- حالة الاغتراب عن قيم المجتمع

تُعبر في رسالة الصاهل والشاحج، يُعبر أبو العلاء المعري بعمق عن حالة الاغتراب عن القيم الإنسانية والأخلاقية التي كانت تُميز مجتمعه. من خلال الرموز التي يستخدمها، يكشف المعري عن كيفية تأثير التلاعب بالسلطة على تآكل هذه القيم الأساسية، مما يؤدي إلى خلق بيئة مملوءة بالفساد والظلم.

- **تآكل القيم الأساسية**

يُظهر المعري كيف أن القمع السياسي والفساد يساهمان في انهيار القيم الاجتماعية، حيث يُعبر عن ذلك بقوله:

"وكلما زادت السدود، زاد الفساد، وكأننا نعيش في قاع بحيرة آسنة"[2] ، تُظهر هذه العبارة بوضوح العلاقة بين السلطة والفساد. فعندما تُقيم السدود، فإنها تمثل القيود التي تفرضها السلطة على الأفراد وتفكيرهم. ومع زيادة هذه القيود، يزداد الفساد ويصبح المجتمع أشبه بحيرة آسنة، تُعبر عن فقدان الحيوية والنقاء. يُشير هذا الرمز إلى كيف أن السياسات القمعية تُؤدي إلى انعدام الثقة بين الأفراد وفقدان الأخلاق، مما يُشعر الناس بالاغتراب عن قيمهم الإنسانية.

الإحباط الناتج عن الفساد

---

[1] المعري، ١٩٩٠، ص ٩٠.

[2] المعري، ١٩٩٠، ص، ١٠٠.

تُعد الرموز في نص المعري عن الإحباط العميق الذي يشعر به الأفراد عندما يرون مجتمعهم يتآكل من الداخل. إن حالة العزلة والاغتراب التي يُعاني منها الأفراد نتيجة الفساد المستشري تُظهر كيف يُمكن أن يؤدي فقدان القيم إلى فقدان الهوية. وعندما يصبح الفساد سمة بارزة في المجتمع، يشعر الأفراد أنهم مغتربون عن القيم التي كانوا يؤمنون بها.

تأثير السلطة على الفرد

إن استخدام المعري للرموز يتجاوز مجرد وصف الفساد، ليعكس تأثير السلطة على الفرد نفسه. فالفرد الذي يتعرض لضغوط قمعية وفقدان للحرية يجد نفسه عاجزًا عن التفاعل مع مجتمعه بشكل فعّال. يُعبر المعري عن هذا الإحساس بفقدان الارتباط من خلال تصوير المجتمع ككائن مريض يعاني من تآكل قيمه.

"إن الحق إذا ضاع، فلا مكان للصدق بيننا"[1]، تشير هذه العبارة إلى أن فقدان العدالة يُؤدي إلى انهيار القيم الأساسية التي تربط المجتمع. عندما يُفقد الحق، يتعذر على الأفراد الحفاظ على صدقهم ومبادئهم، مما يُعزز من شعورهم بالاغتراب عن قيمهم.

يُظهر المعري من خلال الرموز والاستعارات في رسالة الصاهل والشاحج كيف أن حالة الاغتراب عن القيم الإنسانية والأخلاقية تنشأ نتيجة للفساد والقمع السياسي. تعكس أعماله العمق الفكري والوعي الاجتماعي الذي يدفع الأفراد إلى التفكير في واقعهم والسعي لتغيير الظروف المحيطة بهم. من خلال تصويره لهذا الواقع المؤلم، يُحفز المعري قراءه على إعادة التفكير في القيم التي تُحدد هويتهم الجماعية. تُظهر أعمال أبو العلاء المعري كيف يمكن أن يؤدي الاستلاب الاجتماعي إلى فقدان الهوية الجماعية والإحباط الفردي. من خلال استخدام الرموز المعبرة عن الضغط الاجتماعي والاغتراب، يُسلط المعري الضوء على الأثر المدمر للقمع السياسي على العلاقات الاجتماعية. إن تحليله العميق لهذا الموضوع يُبرز أهمية الوعي الاجتماعي والنقد الثقافي كوسيلة لمواجهة الاستلاب واستعادة الهوية الجماعية.

المبحث الرابع: الاستلاب الفكري والثقافي

١- استلاب حرية الفكر والتعبير

تُعد في رسالة الصاهل والشاحج، يسلط أبو العلاء المعري الضوء على قيد السلطة على حرية الفكر والتعبير، مُشيرًا إلى أن هذه القيود تؤدي إلى استلاب الفكر وتدمير الإبداع. يُعتبر الاستلاب الفكري عنصرًا أساسيًا في تشكيل الظروف الاجتماعية والسياسية التي يعيشها الأفراد، حيث يُؤدي فقدان الحرية إلى اختناق أفكار جديدة وفعّالة.

- **اختناق الفكر**

يتناول المعري في نصوصه الصراع بين الأفكار المبدعة والسلطات القامعة، حيث يُعبر عن إحساسه بالاختناق الفكري. يقول في هذا السياق:

"الفكر الجبار يطغى على الفكر الحر كقهر الضياء للظلام"[2]، تُظهر هذه العبارة الصراع الدائم بين قوى الاستبداد والأفكار الحرة. يُشير المعري إلى كيف أن الفكر القوي والسلطة الطاغية قادرة على إخماد نور الفكر الحر، مما يؤدي إلى حالة من القمع الفكري. هذه الصورة الرمزية تُظهر الانفصال بين الإبداع والحرية، حيث يتحكم الظلام في النور، مما يحد من قدرة الأفراد على التفكير والإبداع.

---

[1] المعري، ١٩٩٠، ص، ٢١٦.

[2] المعري، ١٩٩٠، ص، ٢٠٢.

- **الضغط على المبدعين**

يُظهر المعري أيضًا كيف يؤثر الاستلاب الفكري على الأفراد والمجتمع ككل، مع التركيز على حالة المبدعين الذين يُجبرون على التخلي عن أفكارهم الأصلية بسبب الخوف من الانتقام. يُشير إلى ذلك بقوله:"أصحاب الرأي في سجون الأفكار لا يعرفون للحرية سبيلاً" [١]، تعكس هذه العبارة حالة المبدعين الذين يُحبسون في عقولهم، حيث يُعاني هؤلاء من انعدام الفرصة للتعبير عن آرائهم وأفكارهم. يظهر الاستلاب الفكري هنا في شكل سجون نفسية، حيث تُقيّد الأفكار، مما يؤدي إلى عدم القدرة على تحقيق الذات أو إحداث أي تغيير إيجابي في المجتمع.

- **فقدان الأمل**

من خلال هذه الرموز، يُعبر المعري عن انفصال الفكرة عن القدرة على التعبير عنها بحرية. فعندما يُفقد الأفراد الأمل في تغيير الواقع من خلال التعبير عن آرائهم، فإنهم يصبحون رهائن لأفكارهم، مما يؤدي إلى مزيد من الاستلاب. في هذا السياق، يُصبح الاستلاب الفكري نتيجة مباشرة للضغوط الاجتماعية والسياسية، حيث لا يُمكن للأفكار أن تُزهر في بيئة لا تحتمل الاختلاف.

تُعتبر رسالة المعري في *الصاهل والشاحج* تحذيرًا من آثار استلاب حرية الفكر والتعبير، مما يُظهر كيف تؤثر القيود السياسية على الإبداع والتفكير. من خلال تصويره لتجربة الأفراد في ظل القمع، يُعزز المعري أهمية حرية التعبير كشرط أساسي لتحقيق التقدم والازدهار.

- **التناقض بين القيم الفكرية والقيم السلطوية**

يُعد النقد الثقافي والفكري أحد أبرز سمات أعمال أبي العلاء المعري، حيث يُظهر من خلال كتاباته كيف أن السلطة تُقيد الحرية الفكرية وتُفرغ القيم الأصلية من محتواها. يتمثل هذا النقد في استخدامه الرموز للتعبير عن الصراع بين القيم السلطوية والقيم الفكرية التي تدعو إلى التقدم والتحرر.

- **صورة السلطة المغلقة**

يُشير المعري إلى طبيعة السلطة من خلال رموز تعكس انغلاقها وابتعادها عن الحقائق، فيقول:

"السلطة مثل عصفور مغرور، لا ترى إلا من خلال زجاجةٍ مُعتمة" [٢] ،تُظهر هذه الصورة كيف تُحرف السلطة الحقائق وتفرض رؤية ضيقة على المجتمع، مما يُعيق النمو الفكري. فالعصفور هنا يُمثل السلطة التي تتفاخر بقدرتها على الرؤية، ولكنها محصورة في منظار مُعتم، مما يمنعها من رؤية الحقائق المُعقدة التي تواجه المجتمع. يُظهر هذا الرمز كيف أن القيم السلطوية تفتقر إلى الشفافية والانفتاح، مما يؤدي إلى تهميش الفكر الحر.

- **الانفصال عن القيم الأصلية**

كما يتناول المعري كيف تؤدي الضغوط السلطوية إلى انقسام المجتمع عن قيمه الأصلية، حيث يقول:

"عندما تكون الأفكار مكبلة، يُصبح الإنسان أسيرًا لظلاله"[٣]، تُعبر هذه العبارة عن حالة من الانفصال بين الأفراد وقيمهم، حيث يتحول الأفراد إلى أسرى لأفكارهم المتكررة والمقيدة. يُظهر المعري من خلال هذه الرؤية كيف تؤدي القيود الفكرية إلى انعدام الحرية والتفكير الإبداعي، مما يؤثر على الهوية الثقافية والفكرية للأفراد والمجتمع.

---

[١] المعري، ١٩٩٠، ص، ٢٠١٠.
[٢] المعري، ١٩٩٠، ص، ١٠٥.
[٣] المعري، ١٩٩٠، ص، ١٢٠.

- **السخرية كوسيلة نقدية**

تتجلى السخرية في كتابات المعري كمظهر من مظاهر النقد للسلطة، حيث يُعبر عن إحباطه من القيم السلطوية من خلال الرموز بشكل لاذع. فيقول:

"إن من لا يثور على فساد الزمان كمن يتقبل العمى طواعية" [١]

تُبرز هذه العبارة ضرورة التحرك ضد الظلم الفكري والثقافي، مُشيرًا إلى أن السكوت عن الفساد والتلاعب بالسلطة يُعتبر تواطؤًا مع الظلم. يدعو المعري من خلال هذا التعبير إلى المقاومة والنقد، مؤكدًا على أهمية التفكير النقدي كوسيلة للخروج من قيد الظلام الفكري.

المبحث الخامس: الاستلاب الوجودي والروحي

١- استلاب الذات أمام قوى القدر

يتناول أبو العلاء المعري في "رسالة الصاهل والشاحج" قضية الاستلاب الوجودي الذي يعاني منه الأفراد عندما يشعرون بفقدان الإرادة الحرة في مواجهة القدر. يُظهر المعري من خلال رموز واضحة كيف أن الأفراد يصبحون ضحايا لقوى خارجة عن إرادتهم، مما يؤدي إلى حالة من العجز والاغتراب.

- **صورة العجز أمام القدر**

في أحد النصوص، يعبر المعري عن هذا الاستلاب بقوله:" إذا لم يكن للمرء من أمره شيء، فهو كالعصفور في يد الريح" [٢] ، تُعبر هذه الصورة عن شعور العجز الذي يُعاني منه الأفراد في مواجهة قوى القدر، حيث يصبحون أشبه بلعبة في أيدي الظروف غير المتوقعة. العصفور هنا يُرمز إلى الكائن الحي الذي لا يملك السيطرة على مصيره، مما يُظهر بوضوح كيف يُعاني الأفراد من عدم القدرة على اتخاذ القرارات أو تغيير مجرى حياتهم. هذا الاستلاب يُبرز فكرة أن الإنسان، مهما كانت قوته، قد يتعرض لقوى تفوق قدرته على التحكم.

- **فقدان الأمل**

كما يُظهر المعري كيف أن هذا الاستلاب لا ينحصر فقط في العجز عن تغيير الواقع، بل يتعداه إلى فقدان الأمل. حيث يشير إلى أن:

"من رُبطت قدماه بأغلال القدر، لا يستطيع حتى أن يتأمل في عظمته"[٣] ، تسلط هذه العبارة الضوء على الفكرة القائلة بأن القيود التي يفرضها القدر لا تُعطل فقط حرية الحركة، بل تُعطل أيضًا القدرة على التفكير والتأمل في الوجود. عندما يفتقر الفرد إلى الحرية، يصبح عاجزًا عن فهم عمق المعاني والآمال التي قد تمنحه القوة للتغلب على التحديات. يُظهر هذا الاستلاب كيف أن الضغوط الخارجية تُقلل من إمكانية الأفراد على استشراف آفاق جديدة أو تغيير مسارات حياتهم.

- **الاستسلام لقوى القدر**

يتناول المعري أيضًا كيف يُؤدي الاستلاب الوجودي إلى حالة من الاستسلام، حيث يُشعر الأفراد بأنهم مجبرون على قبول واقعهم دون أي مقاومة. يقول:القدر لا يُمحى بقلم الرغبة، بل يُكتب بالحبر الدامي للمعاناة"[٤] .

---

[١] المعري، ١٩٩٠، ص، ١٣٥.
[٢] المعري، ١٩٩٠، ص، ١٤٠.
[٣] المعري، ١٩٩٠، ص، ١٤٥.
[٤] المعري، ١٩٩٠، ص، ١٥٠.

تعكس هذه العبارة فكرة أن الرغبات والأماني لا يمكن أن تغيّر ما كُتب في لوح القدر. إن المعاناة هنا تُشير إلى الصعوبات التي يواجهها الأفراد، وكيف تُكتب قصصهم بلغة الألم والتحدي، مما يُعبر عن الاستسلام للإرادة الكبرى التي لا يمكن تجاهلها.

من خلال هذه الرموز والتشبيهات، يُسلط أبو العلاء المعري الضوء على قضية الاستلاب الوجودي وفقدان الإرادة الحرة أمام قوى القدر. تُظهر كتاباته كيف أن الأفراد، رغم قدرتهم على التفكير والإبداع، يُصبحون أسرى لظروفهم وواقعهم، مما يُثري النقاش حول مفهوم الحرية والإرادة في سياق وجودي معقد.

٢- اغتراب المعري عن المجتمع والقيم الدينية السائدة

يمثل اغتراب المعري عن المجتمع والقيم الدينية السائدة موضوعًا مركزيًا في كتاباته، حيث تُبرز فلسفته النقدية شعوره بالعزلة عن التقاليد والممارسات المتبعة. يستخدم المعري الرموز الحيوانية، مثل الحمار (الشاحج)، للتعبير عن مدى خضوع المجتمع للسلطة والتقاليد. فيقول:

"الحمار لا يعلو إلا إذا انقلبت قيم العقول" [١].

تُعبر هذه الصورة عن رفض المعري للقيم التي يرى أنها لا تعتمد على الحكمة والتفكير النقدي، بل تُبنى على الخضوع للمعايير السائدة التي يصفها بالخالية من الحكمة. يُظهر هذا الرمز كيف يشعر المعري بوجود قطيعة بينه وبين المجتمع الذي يعتبر قيمه سطحية أو متناقضة مع الفكر العميق.

- **نقد القيم الدينية**

كما يُعبر المعري عن رؤية نقدية تجاه بعض القيم الدينية التي تسيطر على حياة الناس، مُشيرًا إلى أن:

"الكثير من العباد يتبعون الخرافة بدلاً من الحقيقة"[٢].

تُظهر هذه العبارة أن المعري يرى أن بعض الممارسات الدينية قد تتحول إلى قيود روحية تعزز الاستلاب الروحي، خاصةً عندما تبتعد عن الحقيقة وتسير في مسارات خرافية. يعكس هذا النقد إحساسه العميق بالاستلاب في عالم يصفه بأنه يعزز التبعية على حساب البحث عن الحقيقة والتفكير المستقل.

- **الاغتراب الوجودي**

من خلال كتاباته، يظهر المعري في حالة بحث دائم عن المعنى في عالم مليء بالتحديات. يشير إلى اغترابه الوجداني قائلاً:

"أنا مثل قمر في الليل، لا يعرف عنه أحد سوى الهمس"[٣] ، تُعبر هذه العبارة عن شعور المعري بالعزلة الوجدانية العميقة، حيث يرى نفسه منقطعًا عن الآخرين وعن القيم التي تُحيط به. يعكس هذا الوصف تناقضه مع المحيطين به، ويظهر إحساسه بالعزلة رغم وجوده بينهم.

يعكس اغتراب المعري عن المجتمع والقيم السائدة رؤية فلسفية عميقة تسلط الضوء على صراعه مع القيم الدينية والاجتماعية التي يراها قيودًا على الفكر والروح. ويبدو أن هذا الاغتراب يُمثل جزءًا من بحثه عن الذات والحقيقة، حيث يُبرز أهمية الفهم الذاتي كوسيلة للتغلب على الاستلاب الوجودي.

---

[١] المعري، ١٩٩٠، ص، ١٥٠.
[٢] المعري، ١٩٩٠، ص، ١٥٥.
[٣] المعري، ١٩٩٠، ص، ١٦٠.

من خلال هذه الكتابات، يظهر المعري في حالة من البحث الدائم عن المعنى في وجوده، مما يبرز الصراع الداخلي الذي يُعاني منه. يقول: "أنا مثل قمر في الليل، لا يعرف عنه أحد سوى الهمس"[1]، مما يُظهر عزلته الوجدانية في مواجهة العالم من حوله.

هذا الاغتراب الوجودي يعكس تأملاته الفلسفية حول الوجود، حيث يُظهر كيف يُمكن أن يؤدي الاستلاب الروحي إلى البحث عن الحقيقة في عالم مليء بالضغوط والتحديات. يُظهر المعري من خلال هذه الرموز عمق رؤيته في الصراع بين الفرد والقدر، ويُبرز أهمية الفهم الذاتي كوسيلة للتخلص من قيود الاستلاب الوجود.

نتائج البحث

١. **تجسيد الاستلاب السياسي** :سلط المعري الضوء على الاستلاب السياسي من خلال رموز الحيوانات، حيث أظهر كيف يُستخدم الحصان (الصاهل) كرمز للمقاومة والأمل، بينما يُمثل الحمار (الشاحج) الاستسلام والضعف. تعكس هذه الرموز الفجوة الاجتماعية والسياسية بين الفئات المختلفة في المجتمع.

٢. **نقد الفساد والاستبداد** :استخدم المعري السخرية السياسية كأداة لانتقاد السلطة والفساد. عكس من خلال نصوصه كيف أن استغلال السلطة يؤدي إلى تآكل حقوق الأفراد، مُبرزًا ضرورة الوعي والمقاومة ضد الفساد الذي يسيطر على الحياة السياسية.

٣. **فقدان الهوية الجماعية** :أظهر البحث كيف أن القمع السياسي يؤثر سلبًا على الهوية الاجتماعية الجماعية، حيث يعبر المعري عن فقدان الوحدة بين الأفراد نتيجة الضغوط الاجتماعية والسياسية. تُظهر رموز المعري كيف يُجبر الأفراد على التنازل عن الحقوق امتثالا لأوامر السلطة، مما يؤدي إلى تفكيك هويتهم الجماعية.

٤. **استلاب الفكر والتعبير** :تناول البحث كيفية قيد السلطة على حرية الفكر والتعبير، حيث استخدم المعري الرموز لتصوير الانفصال بين الفكرة والقدرة على التعبير عنها بحرية. تعكس نصوصه التحديات التي تواجهها الأفكار الحرة في ظل الأنظمة القمعية.

٥. **التناقض بين القيم الفكرية والقيم السلطوية** :أظهر المعري من خلال رموزه كيف أن القيم الفكرية التي يسعى إليها الأفراد تتناقض مع القيم التي تفرضها السلطة. يُبرز هذا التناقض الحاجة إلى التحرر من القيود المفروضة على الفكر.

٦. **استلاب الوجود والروح** :يعبر المعري عن الاستلاب الوجودي من خلال تصوير الأفراد كمنفصلين عن إرادتهم في مواجهة قوى القدر. تُظهر الرموز المستخدمة في النصوص كيف يعاني الأفراد من اغتراب روحي وفكري عن قيم المجتمع السائدة.

٧. **دعوة للتغيير والوعي** :يُعتبر العمل دعوة للتغيير والوعي المجتمعي، حيث يُبرز المعري أهمية الفكر الحر في مواجهة الاستبداد. من خلال تحفيز الوعي العام، يساهم أدبه في تشجيع الأفراد على استعادة حقوقهم ومواجهة الظلم.

في النهاية، تبرز نتائج البحث أهمية الأدب كوسيلة نقدية تعكس الواقع الاجتماعي والسياسي، وتُعزز من دور الأدباء في طرح قضايا المجتمع بطرق مبتكرة، مما يجعل رسالة المعري تستمر في إلهام الأجيال الجديدة من المفكرين والكتّاب.

---

[1] المعري، ١٩٩٠، ص، ١٦٠.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١. **أبو العلاء المعري**، رسالة الصاهل والشاحج، تحقيق عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

ثانياً: المراجع

أ- المراجع العربية:

١. **أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (الميداني)**، *مجمع الأمثال*، مكتبة عين الجامعة.
٢. **حسن محمود موسى النميري**، *دنيا الحيوان في التراث العربي*، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٠٨.
٣. **حميد لحمداني**، *بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي*، الناشر: المركز الثقافي العربي، ط ٤، ٢٠١٤.
٤. **خير الدين الزركلي**، *الإعلام*، دار المعلم للملايين، بيروت، لبنان، ج١، ط ١٥، ٢٠٠٢.
٥. **ديوان عمرو بن كلثوم**، الناشر: دار الكتاب العربي، ج١، ج٢، ٢٠٠٨.
٦. **رسائل الجاحظ**، تحقيق عبد السلام هارون.
٧. **سعيد يقطين**، *تحليل الخطاب الروائي*، المركز الثقافي العربي، ط ٢، ١٩٩٣.
٨. **شرح ديوان الحماسة للمرزوقي**، تحقيق عبد السلام هارون، أحمد أمين، الناشر: لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط ع ١، ٢٠٠٨.
٩. **صالح بن رمضان**، *الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم*، الناشر: دار الفارابي، ط ٢، ٢٠٠٧.
١٠. **ضياء الكعبي**، *السرد العربي القديم*، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ٢٠٠٥.
١١. **عميش عبد القادر**، *شعرية الخطاب السردي*، الخبر: دار الأديب، الجزائر، ٢٠٠٧.
١٢. **عبد الله إبراهيم**، *موسوعة السرد العربي*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥.
١٣. **عبد الله إبراهيم**، *السردية العربية (بحث) في البنية السردية للموروث الحكائي العربي*، د ط، د ت.
١٤. **عبد الله إبراهيم**، *المتخيل السردي*، دار النشر، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط ١، ١٩٩٠.
١٥. **علي الخناري**، *مصادر ثقافة أبي العلاء المعري*، دار الثقافة للنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠١.
١٦. **أحمد تيمور الباشا**، *أبو العلاء المعري*، مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢.
١٧. **أحمد يوسف**، *جماليات السرديات التراثية*، الناشر: دار المؤمون للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١١.
١٨. **آمنة يوسف**، *تقنيات السرد في النظرية والتطبيق*، مكتبة عين الجامعة، دار النشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢، ٢٠١٥.
١٩. **إبن العديم**، *كتاب الأنصاف والتحري*، مكتبة عين الجامعة، طبع الكتاب في مصر سنة ١٩٤٤.
٢٠. **إبراهيم صحراوي**، *السرد العربي القديم: الأنواع والوظائف والبنيات*، دار الأفاق، الجزائر، ط ١.

٢١. **إبن منظور**، *لسان العرب*، مؤسسة الأعامي، لبنان، الجزء الثالث، د ط، ٢٠٠٥.
٢٢. **الدكتور حمزة قريرة**، *بنية الفضاء الروائي في رواية أمين الزاوي*، ٢٠٢١.
٢٣. **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام هارون.
٢٤. **فاطمة بنت الخرش الأنمارية**، ولدت الكملة لزياد العبسي، *جمهرة أنساب العرب*.
٢٥. **كليب وائل**، بن ربيعة بن الحارث، سيد بني تغلب ومضرب المثل بعزته، *جمهرة الأنساب*.
٢٦. **محمد الخبو**، *المتكلم في السرد العربي*، الناشر: دار محمد علي للنشر، ط ١، ٢٠١١.
٢٧. **محمد بوعزة**، *تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم*، الناشر: الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط ١، ٢٠١٠.
٢٨. **محرز الوهراني**، *بنية السرد في المنامات والمقامات*، تحقيق إبراهيم شعلان، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، ط ١، ١٩٩٨.
٢٩. **نجلاء موسى وداود موسى**، *عناصر السرد والدراما في رسالة الغفران*، ٢٠١٢.

ب- المراجع المترجمة:

١. **تزفيتان تودوروف**، *مقولات السرد الأدبي: مفاهيم سردية*، منشورات الإختلاف، الجزائر، ٢٠٠٥.

ج- المجلات:

١. **بشير الوسلاتي**، "الشخصيات في رسالة الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري"، *مجلة الإتحاف*، العدد ٥٩، ٠١ مايو ١٩٩٥.
٢. **عبد الرحمن مرضي علاوي**، "الشخصيات في روايات مهدي عيسى الصقر"، *مجلة الآداب*، جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية، قسم اللغة العربية، العدد ١٢٤، ٢٠١٨.

د- المواقع الإلكترونية:

١. **مدونة الدكتور محمد عبيدة الله**، "رسالة الصاهل والشاحج: رؤية سردية"، من منظور سردي، ٢٠١٥.
٢. **مجموعة مؤلفين**، *طرائق تحليل السرد*، منشورات إتحاد كتاب المغرب، ط ١، ١٩٩٢.